مدائح إلهية

مختارات من ديوان العالم الربانى، مفخرة الشعب اليمانى
الإمام السيد محمد بن ابراهيم الوزير

المسمى

مجمع الحقائق والرقائق. فى ممادح رب الخلائق

أعده للطبع ، وعلق عليه

السيد على بن اسماعيل المؤيد ، اسماعيل بن احمد الجرافى

القاهرة

١٣٨١

المطبعة السلفية - ومكتبتها

٢١ شارع الفتح بالروضة تليفون ٨٩٨٣٦٤

مدائح إلهية

مختارات من ديوان العالم الرباني، مفخرة الشعب اليماني
الإمام السيد محمد بن ابراهيم الوزير

المسمى

مجمع الحقائق والرقائق في ممادح رب الخلائق

أعده للطبع ، وعلق عليه

السيد علي بن اسماعيل المؤيد   اسماعيل بن أحمد الجرافي

القاهرة

١٣٨١

المطبعة السلفية - ومكتبتها

٢١ شارع الفتح بالروضة تليفون ٨٩٨٣٦٤

بسم الله الرحمن الرحيم

فى القرن الثامن الهجرى ظهر فى اليمن عَلم من أعلام الحق ، ومجدد عظيم دعا إلى الله وإلى التفكر فى ملكوت الله ، ودافع عن السنة المحمدية . ذلك هو السيد الحجة محمد بن ابراهيم الوزير ، وإن فيما خلفه من ثروات علمية ومؤلفات تشهد له بالعبقرية والنبوغ برهاناً صادقاً على عظيم معرفته

ولم يكن ديوانه المسمى « مجمع الحقائق والرقائق ، فى ممادح رب الخلائق » إلا عنواناً على صلته بالله خالق الكون ، لهذا يحق لنا أن نشكر الله سبحانه وتعالى الذى يسر لنا العثور على هذا الكنز الثمين الذى آن له أن يظهر بعد اختفاء طويل فى خزائن المخطوطات اليمنية التى نأمل أن يكون قد حان الوقت لنشرها وانتفاع الناس بها

ولقد قام بشرح هذا الديوان علم من أعلام الهدى والإيمان ، هو السيد العلامة محمد بن إسماعيل الأمير صاحب المؤلفات الشهيرة رضوان الله عليه ، فشرحه شرحاً كاملا مطولا سماه « فتح الخالق فى شرح مجمع الحقائق والرقائق » . ولقد اقتصرنا على نشر بعض قصائد الديوان ، كما اعتمدنا اعتماداً كلياً فى التعليق على الشرح المذكور ، وحافظنا على الترتيب وسرد القصائد كما هو موجود فى الأصل . وعسى تسمح الظروف بطبع الديوان مع شرحه كاملين . واعتمدنا على نسخة وزير العدل القاضى العلامة أحمد بن أحمد الجرافى الذى تفضل مشكوراً بالسماح بها ، وهى تقع مع الشرح فى مجلدين : أولهما يشتمل على أربعمائة وثمانى عشرة صفحة ، وثانيهما على ثلاثمائة وسبعة وعشرين صفحة بخط يمنى عادى ، ويرجع تاريخ النسخة إلى سنة ١٢٠٤ هجرية كما بين ذلك الناسخ فى آخرها حيث قال : وكان الفراغ من رقمه نهار السبت غرة شهر ذى القعدة سنة ١٢٠٤ بخط أسير الذنوب ، الراجى عفو علام الغيوب ، عبد الرحمن بن يحيى بن إسماعيل بن على بن القاسم بن أحمد بن المتوكل على الله إسماعيل

الناشران

صاحب الديوان

ترجم له الشوكانى فى « البدر الطالع » ترجمة واسعة . ومما جاء فيها بعد ذكر نسبه :

الإمام الكبير ، المجتهد المطلق المعروف بابن الوزير . ولد فى شهر رجب سنة ٧٧٥ هـ بهجر الظهراوين من شظب . قرأ على أخيه العلامة الهادى بن إبراهيم الوزير وعلى غيره من علماء اليمن ، ورحل إلى مكة ، وقرأ على علمائها وفاق الأقران ، واشتهر صيته وبعد ذكره وطار علمه فى الأقطار . ترجم له الحافظ ابن حجر العسقلانى فى أنبائه ، وترجم له السخاوى وكذا التقى ابن فهد فى معجمه

قال الشوكاني : وبالجملة فصاحب الترجمة ممن يقصر القلم عن التعريف بحاله ، وكيف يمكن شرح حال من يزاحم أئمة المذاهب الأربعة فمن بعدهم من الأئمة المجتهدين فى اجتهاداتهم ، ويتكلم فى الحديث بكلام أئمته المعتبرين . تبحر فى جميع العلوم العقلية والنقلية على حد يقصر عنه الوصف ، ومن رام أن يعرف حاله ومقدار علمه فعليه بمطالعة مصنفاته فانها شاهد عدل على علو طبقته

ومن مؤلفاته : العواصم والقواصم فى الذب عن سنة أبى القاسم . واختصره بالروض الباسم .و ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان . وإيثار الحق على الخلق . والبرهان القاطع فى معرفة الصانع . وكتاب التنقيح [1] فى علوم الحديث . وله مؤلفات غير هذه

وجرت بينه وبين علماء عصره معارك علمية عنيفة . ثم بعد ذلك أقبل على العبادة وانقطع عن الناس . انتهى

وليس هذا الديوان إلا صورة لما كان عليه المترجم له من التوكل على الله والزهد فى الدنيا . وكانت وفاته تغمده الله بغفرانه فى سابع وعشرين شهر المحرم سنة ٨٤٠ هجرية

---

(١) شرحه السيد العلامة محمد بن اسماعيل الأمير وسماه التوضيح وطبع فى القاهرة ، وجميع الكتب المشار اليها طبعت أيضاً بالقاهرة عدا العواصم والقواصم

السيد محمد بن إسماعيل الأمير

الإمام الكبير المجتهد المطلق . ولد ليلة الجمعة خامس عشر جمادى الآخرة سنة ١٠٩٩ بكحلان ، ثم انتقل مع والده تاج الدين إلى مدينة صنعاء سنة ١١٠٧ . أخذ عن علماء اليمن ، ورحل إلى مكة وقرأ الحديث على أكابر علمائها وعلماء المدينة ، وبرع فى جميع العلوم وفاق الأقران

وله مصنفات جليلة منها : سبل السلام ، ومنحة الغفار حاشية على ضوء النهار للجلال ، والعدة على شرح العمدة لابن دقيق العيد ، وشرح الجامع الصغير للسيوطى ، وشرح التنقيح فى علوم الحديث للسيد الإمام محمد بن إبراهيم الوزير سماه التوضيح . ومنها شرح منظومة الكافل فى أصول الفقه . ومنها شرح هذا الديوان . وغير ذلك

وقد أفرد كثيراً من المسائل بالتصنيف بما يمكن جمعه فى مجلدات . ولشهرة المذكور اكتفينا بهذه الترجمة الوجيزة وهو أشهر من نار على علم . توفى رحمه الله سنة ١١٨٢

بسم الله الرحمن الرحيم

قال رحمه الله : قال بعض الصوفية :

من فاته منك وقت حظه الندم ومن تكن همه تسمو به الهمم [1]

فنسج رحمه الله على منواله فقال :

وناظر فى سوى مرآك حق له يفيض مدمعه بالدمع وهو دم [2]
نسيت كل طريق كنت أعرفه إلا طريقاً يؤدينى لبابكم
فسلنى كل حال كنت آلفه فى وصله القطع ما بينى وبينكم [3]
واجعله لى غير مفتون به أبداً حتى يوفَى لى حظى بفضلكم [4]
أدعو وأرجو مع التفويض مرتضياً لما قضيتم به طوعاً لأمركم
وذاك لى قربة منكم بفضلكم وان أخيب وأشقى فى دعائكم

---

(١) الوقت فى اصطلاح الخواص زمن الإقبال على الله . والندم التوبة عن فوات وقت المراقبة . ومن يكن الله همه وغاية مرامه التقرب منه فلا تزال همته تدنيه من مولاه ، وتسمو به إلى المناجاة . ففى الحديث القدسى « ولا يزال عبدى يتقرب إلىّ بالنوافل حتى أحبه ، فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به » .

(٢) كان بعض السلف يكرهون فضول النظر كما يكرهون فضول الكلام ﴿ ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم ﴾ الآية

(٣) سأل الله أن يسليه عن وصل كل قاطع عنه وعن القرب من رضوانه ، فالقواطع عن الله كثيرة أعظمها الدنيا

(٤) سأله أن يجعل الحال الذى ألفه غير فاتن له ، أو لا يكون هو مفتوناً بالحال الذى كان عليه ومشغولا به عن الله تعالى ، كما سأل الله أن يوفى حظه حتى الممات ، وكان رسول الله يستعيذ من فتنة المحيا والممات

ولى بكم عوض عن كل مفتقد ولا تساوى الأمانى لحظ طيفكم[1]
وان تقطيع قلبى فى وفاقكم خير له من نعيم فى فراقكم
لكن عفوكم والفضل أوسع لى فلاطفوا بعظيم الفضل عبدكم

وقال فى التضرع والرجاء والتوكل :

أرجيك إذ كنتَ أهل الرجا وأخشاك أنى من الظالمينا
وأسألك العفو إذ كنت قد علمت بحبك للسائلينا
وانك أنت القريب المجيب أعلمتنا ذاك علماً يقينا
وفوضت أمرىَ بعد الدعا بحق إلى أحكم الحاكمينا
إذا شئت عافيتنى من ذنوبى وسامحت يا أرحم الراحمينا
وهذا الذى أنت أهل له وأنت تحث به المحسنينا
وأنت الذى قلت لا تقنطوا خطاباً خصصت به المسرفينا[2]
وقيدت تعذيب أهل النفاق وأطلقت وعدك للصادقينا[3]
وتبت على عابدى العجل كى يكونوا بذاك من الشاكرينا[4]
فكيف يكون امرؤ مسلم أسا بعد هذا من القانطينا
وإن شئت عذبتنى عادلا عذاباً عظيما أليماً مهينا

---

(١) ان فى الله عوضا عن كل هالك وخلفاً من كل فائت ، وان رؤية من يحبه فى منامه أحب إليه من نيل كل أمنية

(٢) إشارة الى قوله تعالى ﴿ قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ﴾ سورة الزمر

(٣) أشار إلى قوله تعالى ﴿ ليجزى الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم ﴾ سورة الأحزاب

(٤) ﴿ ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون ، ثم عفونا عنكم من بعد ذلك لعلكم تشكرون ﴾ سورة البقرة

وهـــــذا الذى أنا أهل له ... لأنى أثيم من الآثمينــا
فأرجو بعزك يا سيـــدى ... وضعفى وكونك أنت المعينــا
يكون الذى أنت أهل له ... وأولى بحمدك فى الحامدينــا
بذاك أمرت العبيد الضعاف ... وأثنيت منهم على الـكاظمينــا
وأنت بفضلك أطمعت فى ... كتابك فى عفوك الخالطينــا[1]
وجاء بيانهم فى الصحيح ... وفى النظر الحق للناظرينــا
وما صح أنهم التــائبو ... ن فالسابقون من التائبينــا
وأطمعت فى العفو فى آيتين ... لمن لا يعد من المشركينــا[2]
لذاك يودون لو أنهم ... كانوا لربهم مسلمينـــــا[3]
وخصصت فى الذكر أهل اليمين ... ممن غدا بالخطايا رهينـــــا
وكفّرت أسوأ أعمــــالهم ... إذا صدقوا الرسل الصـــادقينــا
وعددت يارب فى المصطفـــين ... قوماً لأنفسهم ظالمينـــــا[4]
وأنت وعدت الرسول الأمين ... مقامــــاً حميداً يسر الأمينا
ولا سيما فى أحبــــائه ... وفى نــاصريه وفى الأقربينــا

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى ﴿ وآخرون اعترفوا بذنوبهم ﴾ الخ الآية

(٢) ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾ سورة النساء.

(٣) قال الشارح : البيت هكذا فى ديوانه ، وفيه انزخاف يجتنب لو قال :

لذاك يودون لو أنهم ... لربهم أصبحوا مسلمينــا

والبيت اشارة الى قوله تعالى ﴿ ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ﴾

(٤) ﴿ ثم أورثنا الـكتاب الذى اصطفينا من عبادنا ، فمنهم ظالمٌ لنفسه ﴾ فالظالم لنفسه من المصطفين يتوب الله عليه إن شاء.

كما قاله لأبي طالب إذا كان بالعهد سمحاً مبينا[1]
فكيف بمن لم يزل مؤمناً يحث على حبك المؤمنينا
ويسمح إن ظلموا حقه ويدعو ويعفو عن الظالمينا
ويغدو بإحسانه فارحاً وبالذنب خاف هموم حزينا
وينصر ما قلته مفرداً كما قد علمت عن الناصرينا
ولله في ذا أتم الثنـــا هداني وكنت غوياً مبينا
وقى وكفى وهو نعم الوكيل وكان قوياً عزيزاً متينا
له الشكر حتى على شكره لقد من فيه على الشاكرينا

وقال رضي الله عنه : ومن قديم ما قلت في الرجاء :

قد قلت إذ عذلوني في الرجاء لكم وقطّعوا أملي فيكم وأطماعي
لا تعذلوني وخلوني على عللي فالقلب قلبيَ والأوجاع أوجاعي
إني أحب على ظلمي ومعصيتي أدعو الكريم الذي لا يحرم الداعي
وأرتجيه لأوزاري يكفرها فانه مُطمع لي أي إطماع
لما هداني إلى التوحيد مبتدياً به ومَنَّ بإيماني وإسماعي[2]
ومنّ بالخوف منه والرجاء له وبالتلذذ في ليلي برجّاعي[3]
وبالتوكل والتفويض إنهما لمنتهى كل فكر لي وإزماعي
حسبي الذي ابتدأ الأشياء عن حكم للحمد والفضل محموداً باجماعي

---

(١) اشارة الى قوله عليه الصلاة والسلام لأبي طالب « قل لا إله إلا الله أشهد لك بها يوم القيامة » ، وقوله « لأستغفرن لك ما لم أنه عنك »

(٢) قال الله تعالى ﴿ بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان ﴾ وقال ﴿ وحبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم ﴾

(٣) ترجيع الدعاء والتضرع

وقال رحمه الله فى معنى قوله تعالى

﴿ والذين كفروا بآيات الله ولقائه أولئك يئسوا من رحمتى ﴾ :

فى وعد ربى عذاباً للأولى يئسوا　　من رحمة الله بشرى منه للراجى
وكيف لا يطمع العبد الضعيف بفضل الواسع البر ملجا الخائف اللاجى
إنى أرجيه لا أرجو سواه ولا　　بغير رحمته من خلقه ناجى

وقال رحمه الله :

إلى الملك القيوم وجهت آمالى　　وأضربت عن عمال عمرى وأعمالى
وتاجرته مستحقراً لتجـارتى　　ومستعظما ما أرتجى منه فيها لى
وكان اختيارى منه فضلا ومنة　　وفى كل شىء منه أكمل إفضال[١]
يجازى على مقدار أيسر كسرة　　بمقدار طود شاهق شامخ عالى[٢]
ونجى وينجى العبد فى شق تمرة　　يـكثر منا فضله كل إقلال[٣]
وترجح فى يوم النشور بطاقة　　على مائة مد النواظر أسجال[٤]
ويملأ ما بين الثريا إلى الثرى　　على لفظتى بر من ايسر أقوال

---

(١) ان اختياره توجيه الآمال اليه تعالى وإضرابه عن أعماله وعمال زمانه ومتاجرته واحتقاره لما تاجر به كل ذلك من فضل الله عليه

(٢) فى حديث أبى برزة « ان العبد ليتصدق بالـكسرة تربو عند الله حتى تـكون مثل أحد »

(٣) إشارة إلى حديث امرأة شقت تمرة بين ابنتيها فأخبرت عائشة رسول الله ﷺ فقال « ان الله قد أوجب لها بها الجنة ونجاها وأعتقها من النار » وحديث « اتقوا النار ولو بشق تمرة » متفق عليه

(٤) فى الترمذى « ان الله سيخاص رجلا من أمتى على رءوس الخلائق يوم القيامة فينشر له تسعة وتسعين سجلا كل سجل منها مد البصر ، ثم يقول : أتنـكر من هذا شيئاً ؟ أظلمك كتبتى الحافظون ؟ فيقول : لا يارب . فيقول : ألك عذر ؟ فيقول : لا يا رب . ＝

بتسبيحة والحمد لله مرة حديثاً صحيحاً ليس بالقيل والقال [١]
وزاد كتاب الله ذلك قوة بما فيه للكلمات من ضرب أمثال
وما فيه من ذكر الجزاء لمؤمنى النصارى بما قالوه أيسر أقوال [٢]
وما فيه من تضعيف أجر ثوابنا بسبع مئات أو بعشرة أمثال
وفيه جزاء الذنب غير مضاعف ويغفره إن شاء فى الخبر العالى
ويمحو بهمٍّ العبد جم ذنوبه إذا لم يكفر ذاك منه بأعمال [٣]
وقال لنا : ادعونى أجبكم فاننى قريب مجيب ذو أياد وافضال
يسائلنى أهل السموات كلهم وأهل الأراضى فى رخاء وأوجال [٤]
ولى كل يوم فيهم شأن قادر حكيم باعزاز لقوم وإذلال
أعز به من ذل خوفاً لعزتى وأقصم فيه ذا عتو وأموال
كذاك يقول الله معنى مبيناً لنا فأجلوا الله أعظم إجلال
ومن ذاك أن لا تستعينوا بغيره فليس له ثان تعالى ولا تالى

= فيقول الله تعالى : بلى إن لك عندنا حسنة ، فانه لا ظلم عليك اليوم . فيخرج بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . فيقال : احضر وزنك . فيقول : يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات ؟ فيقال : انك لا تظلم ، فتوضع السجلات فى كفة والبطاقة فى كفة ، فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ، ولا يثقل مع اسم الله شىء

(١) فى حديث أخرجه أحمد « سبحان الله نصف الميزان ، والحمد لله تملأ الميزان ، والله أكبر تملأ ما بين السموات والأرض »

(٢) يشير الى قوله تعالى ﴿ وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين ـ الى قوله ـ فأثابهم الله بما قالوا ﴾ الآية

(٣) روى أحمد فى مسنده عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ « إذا كثرت ذنوب العبد ولم يكن له ما يكفرها ابتلاه الله بالحزن »

(٤) الأوجال : جمع وجل ، وهو الخوف

فحافظ عليها تحظ بالخير كله ... فليس بذى نقص يتم باكمال
ولا يكره المستغفرين لعظم ما ... أتوه ولا الطلاب من خوف إقلال
ولا هو محجوب لعجز عن العطا ... ولا خوف إضجار ولا خوف إملال
تبارك مبسوط اليدين مفتحاً ... لأبوابه فى الليل والموضع الخالى
إذا جئته لم أخش فقرىَ حائلا ... ولا احتجت لى حولا وحيلة محتال
بل القرب منه فى تقطع حيلتى ... وضعفى وإقلالى وخيبة آمالى
هنـــاك إذا ناديته متضرعاً ... أجاب سريع الغوث فتاح أقفال
وما يمنع السؤال إلا غنائم ... وقلة آداب على الملك العالى
لذا قال حتى استيأس الرسل جاءهم ... وحتى يقول المصطفى بعد أوجال
فمن فاز لم ينظر إلى سبب مع المـــسبب مثل الدلو فى قبضة الدالى (١)
ففوض اليه الأمر وارض بحكمه ... تجد خير دَفّاع وأكرم مفضال
له الملك فى الدارين والحمد والثنا ... فسبحانه من خطرة الخاق فى البال (٢)

وقال رحمه الله :

يا راجياً الواحـــد المفضال ... أبشر فليس الفوز بالإيغال
فاعمل ولا تركن إلى عمل ولا ... تركن الى عجز ولا اغفال
صحت بذا الأخبار والقرآن قد ... نسب الجنان لنا الى الإفضال

---

(١) كل أمور الدنيا والآخرة لا تتم إلا بسبب ومسبب ، والله أمر العباد باتخاذ الأسباب ، ومراده أن المرء لا ينظر إلى الأسباب من حيث هى متكلا اليها ، بل يلحظهـا مع النظر إلى المسبب

(٢) الخطرة : بفتح الخاء وسكون الطاء المهملة واحدة الخطرات ، والخاطر : الهاجس ، من خطر فى باله كذا . والمراد تنزيه الله عن أن يكون شيئاً يخطر فى بال المخلوقين ، ليس كمثله شىء وهو السميع العليم

والباء فى الأعمال للتسبيب لا التـــثمين إن المثمنات غوالى [١]
لولا المراحم ما زكت أعمالنا أبداً ولا أوفت بقوت ليالى [٢]
كيف الخلود بجنة الفردوس والد قعاء مسك والقصـــور لآلى [٣]
لم يوف عابد ربه خمساً قرو نا ما عصى فيهن ذا الإجلال
بالشكر فى بصر فكيف بغيره مما به رخص العزيز الغالى
كهداية قبلا وعافية وأنفا س وأقوات وشرب زلال
وعوارف ومعارف جلت عن الإ حصاء فى الأوقات والأحوال
كم عورة سترت وكم من كربة جليت وكم نعم صفت ونوال
لو قومت أنفاسنا رجحت على أعمالنا فاطرح رجا الأعمال
فالحمد لله الذى من فضله رخصت أياديه وهن غوالى
الرب وهاب الوجود بأسره الواسع البر العزيز العالى
ثم الصلاة على الشفيع محمد والرسل خيرة خلقه والآل
والصحب والأتباع بعد وكل من لهم أحب لربه المتعالى

وقال رحمه الله :

ياخائن العين لا تكفر بنعمة من أصح عينيك فالانسان كفار [٤]

---

(١) فيه إشارة إلى الخلاف هل دخول الجنة بالأعمال فقط ، أو بالتفضل فقط ؟ وقد جمع ابن القيم بين الأمرين حيث قال : إنما تدخل برحمة الله ، ليس عمل العبد مستقلا بدخولها وإن كان سبباً

(٢) ﴿ ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكا منكم من أحد أبداً ، ولكن الله يزكى من يشاء ﴾

(٣) أى أعمالنا لا يفى جزاؤها بقوت ليالى لحقارتها ، فكيف ينال بها جنة أرضها مسك وقصورها لؤلؤ ؟

(٤) فى نسخة : يا خائن الطرف

واحذر إلٰهك لا يسلبك نعمته — على معاصيك فالغفار غيار
من لم يدع لذة العصيان ممتثلا — تفته كرهاً ويبقى العار والنار (١)
ومن يدعها ينجى منها وبعض — من حسرة الفوت أفراح وأوطار
وما لنا غير غُلْب الرحمة الغضب الخوف — والله للخاشين غفار (٢)
لحسبنا الله لا نخشى سواه ولا — نرجو وهل غيره فى الملك أغيار (٣)
الجامع الملك والحمد الجميع فما — لغيره فيه إلا منـــــه آثار

وقال رحمه الله : روى والدى رضى الله عنه هذا البيت :

ومن يصحب الأيام يلق من الورى — يداً لا تواسى أو يداً خانها الدهر

فزدت عليه :

فثق بالذى لم يجمع الملك والثنا — سواه تعالى من له الخلق والأمر
له اللطف بالعبد الضعيف كما له الجـــلالة — والتعظيم والعز والـكبر
نعدد من أسمائه لا نعدّها — وأسماؤه حسنى وليس لها حصر
ففوض اليه الأمر واعلم بأنه — هو المرتجى المأمول نائله الغمر (٤)
وبعض أياديه العوالم والذى — عليها من الأرزاق والقطر والبحر
دواء المعاصى إن أردت دواءها — لديه له التوفيق واللطف والستر
فلازمه فى الغفران والتوب موقناً — تفز بها فالتوب لله والغفر

---

(١) من لم يترك لذة المعصية امتثالا للنهى عنها فلا بد أن يفوته لذتها ولو بفراق الدنيا ويبقى عليه عارها ونارها ، ومن يتركها امتثالا نجاه الله عن العار والنار ، وأعاضه من فوات لذة العصيان من الأفراح ما تقرّ به عينه

(٢) إشارة الى حديث « غلبت رحمتى غضبى »

(٣) جمع غير : أى لا غير له

(٤) الماء الـكثير ، والمراد العطاء العظيم

أليس بكاف عبده وهو غالب ... على أمره قطعاً كما نطق الذكر

ومن قبل لقّى آدماً كلماته ... وتاب بنص كى يتوبوا له الشكر

فلا تستمع ممن يعجّزه لما ... توهم من جبر وليس بذا جبر (١)

ولكن له علمان سر وظاهر ... فدق على من عجّز القادر السر

وقصة موسى فى الكتاب صريحة ... مع الخضر الزاكى وإنكارها نكر

ومن أجل حب العذر أرسل رسله ... ليظهر بعد الحكمة العدل والعذر

ولم أر مثل الحق يسطع نوره ... كما يتجلى من دياجيره الفجر

وقال رحمه الله : ومن قديم ما قلت :

إليك وجهت يا مولاى آمالى ... فاسمع دعائىَ وارحم ضعف أحوالى

أرجوك مولاى لا نفسى ولا ولدى ... ولا صديقى ولا أهلى ولا مالى

لما عُرفتك لم أنظر إلى أحد ... فلا الرعية أرجوها ولا الوالى

فلا تكلنى إلى من ليس يكلؤنى ... وكن كفيلى فأنت الكافل الكالى (٢)

واسقنى كأس حب من ودادك يا ... مولاى فهو شراب سلسل حالى

فلا وحقك ما للقلب من شغف ... إلا بحبك فاشرح لى به بالى

وفيه سلوان قلبى عن علائقه ... وسلسبيلى وسلوانى وسلسالى

ومنه أحيى ومن فقدى له مرضى ... ومرهمى أبداً منه وإبلالى (٣)

أنا الفقير إلى مولاى يرحمنى ... إذا تقضى بهول الموت إمهالى

أنا الفقير الى مولاى يرحمنى ... فى بطن لحد وحيش مظلم خالى

---

(١) قال الشارح : كأنه يريد بمن يعجز الرب تعالى من يقول : انه بنى العصاة على بنية لا تقبل اللطف ، وأما توهم الجبر فما أعرفه

(٢) كلأه إذا حفظه ﴿ قل من يكلؤكم ﴾

(٣) الإبلال : الشفاء من المرض

هناك لحمى لدود القبر فاكهة   والعظم منى رميم فى الثرى بالى
أنا الفقير الى مولاى يرحمنى   يوم القيامة من عنف وأهوال
وأن أكون بعيداً من تعطفه   مقطعاً عنـــه فى الآباد آمالى [1]
أنا الفقير إلى مولاى يحشرنى   فى زمرة المصطفى المختار والآل
صلى الإله على أرواحهم أبداً   ضعفاً على قدر زخار وهطال [2]

وقال رحمه الله : وروى عن أبى نواس أنه قال :

قالت لى النفس أتاك الردى   وأنت فى دار الخطـــايا مقيم
فادّخر الزاد فقلت اقصرى   وهل يعد الزاد ضيف الكريم [3]

فقلت :

وأى زاد لضيـــوف هم   وما أعدوا من أيادى الكريم
كيف يضاف الزاد للعبد والـــزاد لرب العبد فضل قديم

قال : وفى الجواب عليه قلت أيضا :

وسوء الظن أن تعتد زاداً   إذا كان القدوم على كريم
وكيف يكون زاداً وهو منه   ونحن بفضله قبل القدوم

---

(١) أى يرحمنى رغم بعدى عن تعطفه فى الآباد (جمع أبد) وهو الدهر الطويل

(٢) الزخار : بزاى معجمة وخاء معجمة صفة للبحر ، والهطال : صفة للغيث

(٣) قال الشارح : قلت كلام أبى نواس يدل له قوله تعالى ﴿ وتزودوا فإن خير الزاد التقوى ﴾ وقوله صلى الله عليه وآله وسلم لمن قال له متى الساعة ؟ قال : ما أعددت لها ؟ قال : ما أعددت لها من كثير صلاة ولا صيـــام ، ولكنى أعددت لها حب الله ورسوله . فقال : المرء مع من أحب . أو نحو هذا اللفظ

وقال رحمه الله فى الشوق إلى لقاء الله :

يوم السعادة والبشارة والمنـــا ... يوم به نلقى الكريم إلهنا [١]
ونزيل حيرتنـــا ونفرش ذلة ... لجلاله تحت التراب وجوهنا
ويحق تفويض الأمور ضرورة ... منا ويبطل حقـــه تمويهنا
فعساه يرحمنا بذلتنـــا له ... وإذا بعثنـــا يستجيب وجيهنا [٢]
يا رب سامحنى وأحسن لى فلا ... إحسان لى إلا بفضلك ممكنا
لولا مننت علىّ بالإسلام ... والإيمان لم أسلم ولم أك مؤمنـــا [٣]
فأتم بالإحســان ما أوليتنى ... من نعمة لتكون أنت المحسنا
وأنا البرىء من اعتدادى بالذى ... قدمت أنت لك المشيئة لا أنا
إن لم نفز بصفاتك الحسنى تخب ... حسناتنا حبطـــا ببعض ذنوبنا [٤]
مع أنها لك ، ما لنا منها سوى ... بشرى تبرد من غليل كروبنا [٥]
حاشا لواسع كل شىء رحمة ... من أن يضيق عليه جبر قلوبنا

---

(١) فى الحديث « من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه »

(٢) المراد بوجيهنـا رسول الله ﷺ ، وبالاستجابة قبول شفاعته . قوله « ويزيل حيرتنا » لأن العبد فى دار الدنيا فى حيرة شديدة هل هو من الناجين أم من الهالكين ، وتنكشف له الحقائق فى الآخرة

(٣) قال تعالى ﴿ يمنون عليك أن أسلموا ، قل لا تمنوا على إسلامكم ، بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان ﴾

(٤) أى إن لم ندرك الفوز بالزحزحة عن النار وإدخال الجنة ، كما قال تعالى ﴿ فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز ﴾ فهذا هو الفوز ، والباء فى بصفاتك للسببية ، أى بسبب ما اتصفت به من العفو والغفران والكرم والإحسان . وتخب من الخيبة من خاب سعيه إذا لم ينل ما يرجو

(٥) أى أنت الممدوح بصفاتك الحسنى وبمغفرة ذنوبنا ، ليس لنا إلا البشرى برضاك عنا . والغليل والغلة : شدة العطش أو حرارة الخوف كما فى القاموس

ولذاك علل عفوه بصفاته عند التمدح منه لا بصفاتنـا (١)
مالى سوى تفويض أمرى والرضى فاذا منئت به فقد نلت المنى
أعطيته سبعين ألفاً ما دروا كيف الحساب ولا العذاب ولا العنا (٢)
مع كل ألف منهم سبعون ألفـــاً صح هذا فى حديث نبينا
ولمن بقى من بعدهم ما صح من حثيات خالقنا وجاه شفيعنا (٣)
إلا المنافق والكفور وكل من مارى وشكك فى شرائع ديننا
وخلقت فى فضل الجنان خلائقاً فضلا بلا عمل لهم كصغارنا (٤)
يا رب إن لم تنجنا لك رحمة كالعلم فى سعـــة فما أعمالنا (٥)
أنت المدبر قبل كون الأمر فى حجب الغيوب لك المحامد والثنا
ما ثم إلا ما تشاء وإن تشا إلا الجميل عفوت أو عذبتنا
أنت الحكيم بكل ما قدرته وعلى العبـــاد بكله كل الثنا
ونعوذ بالله الرءوف وفضله من حال أهل النار خلداً أو فنا (٦)

---

(١) ﴿ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم﴾

(٢) الضمير للنبى ﷺ « يدخل الجنة من أمتى سبعون ألفاً بغير حساب، مع كل ألف سبعون ألفا »

(٣) إشارة إلى حديث « ان الله وعدنى سبعين ألفاً مع كل ألف سبعون ألفا وزادنى ثلاث حثيات »

(٤) فانه يدخل صغار المسلمين الجنة بالاتفاق بلا عمل، ولذا قال صغارنا . قال الشارح : واما أطفال الكفار فكذلك ايضا، لكن فيه خلاف، ويحتمل انه اراد صغارنا اى : يا بنى آدم، فيعم

(٥) ﴿ربنا وسعت كل شىء رحمة وعلما﴾ وكما قال ﴿ورحمتى وسعت كل شىء﴾ والمعنى إن لم تنجنا رحمتك فما هى اعمالنا المنجية

(٦) إشارة إلى مذهب من يقول بفناء النار . وقال الشارح : ولنا رسالة بحمد الله فى بيان عدم تمام ادلتها سميناها « رفع الأستار عن عدم صحة ادلة فناء النار »

ضعفاً وعجزاً لا اعتراضاً في القضـــا منا ولا سخطـاً لحكمة ربنا
والظن فيك مناسب أسماءك الحســـنى وما علمتنـا وأمرتنـا
علمتنا وأمرتنا بالعفو مع عظم المضرة والذنوب ونقصنا [1]
كيف العزيز عن النقائص كلها وعن الشبيه لنا بلقياه الهنا [2]

وقال رحمه الله في الشكر والتخويف والرجاء :

الحمد لله القريب المجيب أمسيت لا أرهب هجر الحبيب
قد بغض الله إلىَّ الهوى وحبب الله إلى النحيب
على ذنوبي ودنو الفنـــا أحس في جسمي له كالدبيب
الموت يكفي واعظـاً للفتى وقبله ضعف القوى والمشيب
وكل أمر هين في النهى سوى عذاب الرواسي يذيب
لم يؤمن الرحمن منه امرءاً سوى أولى العصمة كم من قريب
وهم أشد الخلق خوفاً له فـكيف أسلو ويخاف الحبيب [3]
لو سمعت ما حق من قوله صم الرواسي لغدت كالـكثيب
لیملأن النار من إنســـه وجنـه قولا صحيحاً قريب
مالي سوى رحمة من فضله أوسع والظن به لا يخيب
من علّم التأويل أيوب إذ أقسم قطاً فيه لا يستريب [4]

---

(١) اي انه أمرنا بالعفو مع أنه يضرنا العفو عن الجناه علينا ، فهو تعالى أولى بالعفو عنا

(٢) اى كيف لا يعفو عنا من لا يلحقه نقص ولا يتصور فى حقه ولا يشبهنا إذا تلقانا بالهنا اى ما يتهنى به من رحمته ونعيم جنته

(٣) لم يؤمّن الله من عذابه احداً إلا أهل العصمة ، وهم رسل الله المقربون منـــه والملائـكة ، وهم أشد الجميع خوفاً منه وخشية له

(٤) يريد انه تعالى أفتى ايوب لما أقسم ليضربن امرأته مائة ضربة أن ياخذ ضغثا فى يده يضرب به فيصدق يمينه ولم يؤلم امرأته

وقد أتت بشرى بتحليل هـــذا القسم الحق لمن قد أصيب (١)
رحمتـــه كالعلم فى وسعها وسبقهـا وهو المحيط الرقيب
وزاد هـذا فى النهى قوة أسمــاؤه مثل المغيث المجيب
الأرحم الأرأف فى عـزه البر ذو الفضل الودود الحبيب
وإن ما شاء قضـاه بلا معقب لسنـا بذا نستريب
بالحق والحكمة لا عابثـاً سبحانه العدل الحميد المثيب

وقال رضى الله عنه فى فضائل التوكل على الله :

يا من تفرق عزمه وهمومـه وتعارضت فى الرأى ترجيحـاته
اجمع فؤادك إن أردت ثباته فى الحق لا يفسد قواك شتاته
فوض فما الموجود إلا واحد حق وما حقت به كلـاته
وبآية النجوى من الشيطان ما يجلو العمى مهما دجت ظلماته (٢)
واعلم بأن مراده ماض بذا قضت النهى وتواترت آياته
كيف اختلاف مراده فى الابتدا والانتهـا والـكل معلوماته (٣)
هذا محال فى العقول فان يكن فى الممـكنات فباطل ثمراته
اذ لا يكون بلا خلاف غير ما سبقت إرادته وحق ثبـاته
فدع التفرق واجتمع متوكلا تـكفى كما وعدت به آياته
ويحبك الرب الرحيم بنصه وتفض عليك بحبه بركاته

---

(١) إشارة إلى حديث « من حلف على شيء فرأى غيره خيراً منه فليأت الذى هو خير وليكفر عن يمينه »

(٢) إشارة إلى قوله تعالى ﴿ إنما النجوى من الشيطان ﴾ المجادلة

(٣) يريد بقوله فى « الابتدا » علمه السابق الأزلى ، ويريد بالانتهاء إيقاعه المعلومات خارجاً

ويتب عليك لكى تتوب كما أتى ... فى الصادقين قضت بذا كلماته [1]
وتكن من السبعين ألفاً ما دروا ... كيف الحساب تفاوتت درجاته
وتعجل السلوان أول نقده ... وتحط هماً قد علت سوراته
ويكن كرزق الطير رزقك مالها ... زرع يراعى بذره ونباته
ويخاف من آفاته أربابه ... وتحق فيه صلاته وزكاته
ما قدر عبد لا يشا إن لم يشا ... مولاه والغايات مجهولاته
جمع العمى والعجز عن حاجاته ... وبواحد لا تنقضى حاجاته
لولا توكله على الصمد الذى ... جمع الكمال صفاته وهباته
الحى قيوم الوجود بأمره ... الجامع الحسنى الحميد سماته
وإلى التوكل أرشد المختار عند النفخ فى صور دنا ميقاته [2]
وعليه عول إذ أتت أحزابهم ... وبيوم نام تظله شجراته
فاستل صارمه الكفور لخاطه المولى عليه سلامه وصلاته [3]
وبذا سطا نوح فقال لقومه ... لا تنظرون فلا يخاف بياته

---

(١) أشار إلى قوله تعالى ﴿ ثم تاب عليهم ليتوبوا ﴾

(٢) إشارة إلى حديث أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله ﷺ « كيف أنتم وقد التقم صاحب القرن القرن وحنى جبهته وأصغى سمعه ينتظر أن يؤمر أن ينفخ فينفخ . قال المسلمون : كيف نقول يا رسول الله ؟ قال : قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل , على الله توكلنا »

(٣) إشارة إلى قصتين : الأولى بعد العودة من غزوة أحد حيث قيل المؤمنين ﴿ إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم ، فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ﴾

والثانية : قصة غورث بن الحارث ، وهى فى البخارى وكتب السيرة ، وخلاصتها أن رسول الله ﷺ نزل هو وأصحابه فى بعض أسفارهم ، فاستظل تحت شجرة ، وتفرق أصحابه فى الوادى ، فنام عليه الصلاة والسلام وسيفه معلق بالشجرة ، فجاء غورث وهو كافر =

وترحم المختـار منتقداً على لوط وقد هانت عليه بناته (١)
وبذا انطفت نار الخليل ومثلها يوم الجزاء كما روته ثقـاته
والخير أول ما أراد وقد قضى شراً وأول قصـده غاياته
مثل القصاص أو الحدود وإنما علم الغيـوب تعز تأويلاته
منع الملائك والـكليم بيان ما أخفى كما نطقت به كلمـاته
والعز من أوصافه فاترك حمى للعز لن ترعاه مخـلوقاته
ما كان يطلعـكم على الغيب الذى يخفى ، بهـذا صرحت آياته
يا مستريباً فى الوجود جئت على معقوله الدعوى ومشتبهـاته
كيف التولى عن توليه انما وجميع ذى الأكوان محمولاته
ما حامل للـكون بعد وجوده فى الجو صح على الهواء ثباته
ما تحته ما فوقه ما المنتهى ما ثَمَّ إلا الله أو كلمـاته

وقال رحمه الله فى نفى الهموم بالتوكل وسلامة الصدر :

فيم الهموم وكلٌّ خطَّ بالقلم والملك والحمد للوهاب ذى الـكرم
والخلق والأمر والتدبير أجمع والـــقضاء والسبق فى الآباد والقدم (٢)
للواحد الصمد القدوس من وسع الأشيـــــــاء حلماً وعلماً دائم النعم
فان عفا فهو خير الراحمين وإن يعدل فمن حكمة من خير منتقم

= فاستل السيف ، واستيقظ رسول الله والسيف مسلول بيد غورث ، فقال لرسول الله : من يمنعك منى ؟ قال : الله تعالى . فسقط السيف من يده . . الخ القصة

(١) إشارة إلى قوله ﷺ لما نزلت الآية ﴿ لو أن لى بكم قوة أو آوى إلى ركن شديد ﴾ : « رحم الله أخى لوطـاً ، لقد كان يأوى إلى ركن شديد ولأى شىء استكان ». أخرجه ابن جرير عن الحسن

(٢) يريد أن ما قضاه الله وقدره لابد كائن ، فالهموم لا تفيد شيئاً

فلا تخف جور مظلوم لحرقته يغدو ولا عسف ظلام أخى ظلم (١)
فالخير منه بلا شر يكدره والشر للخير مقضى وللحكم (٢)
سيجعل الله بعد العسر ميسرة تأويل مشتبه الأحكام والكلم
ويقبح العكس وانظر قصة الخضر المعصوم هو وكليم خير معتصم (٣)
ففوض الأمر عن علم بلا قلق وانف الوساوس بالبرهان واستقم
وإن رأيت عليما صار فوقك فى علم فسلم له الدعوى ولا تلم (٤)
فكيف بالله جل الله مالكنا فاخضع وسلم لرب غير متهم
فقد أجاب الذى المختار سائله عن جامع الدين والإسلام والحكم (٥)
وأسلم القلب واخضع للجميع ولا تحقد وكن لهم من جملة الخدم
أو اعتزلهم بلا كبر لتسلمهم من خوف شرك لا من خوف شرهم
وان تجد جاهلا فارحم جهالته والطف به لطف ذى طب بذى سقم
عسى المحيط بكل العلم يرحم منـــك الجهل إنك من جهل افى ظلم

---

(١) قال الشارح : تفريع على ما قبله بأنه لا يخاف منه جور المظلوم بظلمه متصف ذلك المظلوم بأنه يغدو لحرقته من الظلم ولا يخاف ان يعسفه مولاه فليس بظلام ﴿ وما ربك بظلام للعبيد ﴾

(٢) يريد ما تقدم غير مرة أنه لا يكون الشر مقضيا إلا لخير فى طيه وحكمة ، فالخير غرض الفرض من الشر

(٣) إشارة الى قصة الخضر وموسى من خرق السفينة وقتل الغلام

(٤) فان الله قد حكى أن فوق كل ذى علم عليم ، وأنه يجب على العالم أن يسلم للأعلم منه ، كما وجب على الكليم التسليم للخضر عليهما السلام

(٥) كأنه يشير الى حديث انه ﷺ أتاه جبريل فى صورة رجل سائل عن الإسلام والإيمان والإحسان وهى جوامع الدين ، وعن الساعة ، وأنه قال له فى السؤال عن الساعة « ليس المسئول بأعلم من السائل » الحديث

وقال رضى الله عنه :

رأيت فى المنام أنى أقول من شعرى فى الندم على الذنوب :

من أين لى صاحب يبكى معى أبداً　　على الذنوب إلى أن نرضى الله
مضى التسلى وأيام الصبا انقرضت　　فكل نفس تَدوى من خطاياها

وقال فى معنى آخر :

ففرج كروبى إننى بك واثق　　وإنك ربى لم تكلنى إلى ثان
وإن رسول الله بشرنى بذا　　وذكرى وعقلى فيه متفقان [١]
وإجماع كل العارفين بأننى　　بهذا مصيب لا أعض بنانى
كما وصف الرحمن فى الذكر نوره　　وفسره لى حبرنا ببيان [٢]
ونور على نور عليه دلالة　　هدى الله فيها ليس نور عيان
ولم أر كالتفويض فيما هدى له　　أصح وأقوى فى حجى وقرآن
أليس بكاف عبده ربنا بلى　　فحسبى إلهى ذو الجلال كفانى
فأسأله التثبيت فى ذا المقام والتجـ　　ـاوز إن زلت بى القدمان
فما أنا إلا خاطىء ذو جهالة　　سوى ما وقانى سيدى وهدانى

---

(١) لعله يشير الى رؤيا بشره المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم بها . وأما الذكر فقول لا إله الا الله ، إذ من شأن الإله ان لا يكل عبده الى غيره ، اليس الله بكاف عبده ؟ والعقل قاض بذلك

(٢) اراد بحبرنا ابن عباس رضى الله عنه . اخرج الفريابى عن ابن عباس فى قوله ﴿ الله نور السماوات والأرض ، مثل نوره ﴾ الذى اعطاه المؤمن ﴿ كمشكاة ﴾ الكوة ﴿ فيها مصباح المصباح فى زجاجة الزجاجة كانها كوكب درىّ يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية ﴾ زيتونة فى سفح جبل لا تصيبها الشمس إذا طلعت ولا إذا غربت ﴿ يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار ، نور على نور ﴾ فذلك مثل قلب المؤمن نور على نور . انتهى

وقال رضي الله عنه :

لك الحمد يا مولاى يا بر إذ ترضى ... كفى بك لى رباً وغيرك لا أرضى
رضيتك لى رباًّ وكيلا مدبراً ... عليما قديراً يملك الرفع والخفضا
ويملك ملك العرش والسبع تحته ... وما فوقها والسحب والبحر والأرضا[1]
وما فوقها والوحش والطير والهوا ... وكلا من الإحياء والبسط والقبضا[2]
يقدّر أرزاق الجميع ولم يدع ... حقيراً ولا ضيعت من ضيع الفرضا
تباركت ياذا المجد والحمد والثنا ... وسعتهم فضلا وزدتهم خفضا[3]
وداويتهم بالنائبـــات فمنهم ... فقـير ومهموم وطائفة مرضى[4]
وتعقب بعد العسر يسراً وربما ... رضيت وأسعدت الشكور الذى يرضى
وترضى عن العبد الضعيف بشكره ... على أكلة أو شربة مصها برضا[5]
كذاك رواه مسلم وجماعة ... فنرجو بهذا اننا بالرضا نحظى
وكم فى حديث المصطفى صح نحوه ... فسبحان رب يملك الكرم المحضا
فيعطى الجزيل الجم جوداً ورحمة ... وإن ينتقم عدلا فحكمته أمضى

وقال رضي الله عنه فى كمال التفويض إلى الله عز وجل :

لا تحجبنى بالأسباب عنك فما ... ركنت بعدك معبوداً إلى ثانى
خلعت عجبى بأعمالى على بصر ... وماسواك[6] كأصنام وأوثان

(١) المراد بالسبع تحت العرش السموات ، لأن العرش فوقها

(٢) فى نسخة « وما تحتها » وما فوق الأرض وما تحتها ملك لله

(٣) الخفض : سعة العيش

(٤) النائبات : جمع نائبة وهى ما ينوب الإنسان من العوارض ، فجعلها دواء منه تعالى وإن كانت عند العبد داء ، ولأن بالنائبات يرجع العبد إلى ربه طوعاً كما يرجع من كفر به وبرسله إذا مسه الضر

(٥) بالباء المفتوحة فراء ساكنة فضاد معجمة : الماء القليل

(٦) عطف على عجبى ، أو خلعت ما سوى ذلك

وأنت لى عوض عن كل مفتقد ... مالى وأهلى وخـلانى وجيرانى (١)
وليس كل الأمانى عنك لى عوض ... وكيف ينسيك منك بعض إحسانى (٢)
وأنس غيرك مثل الطيف عن كثب ... يفنى وليس بواف ذلك الفانى
كانت لقلبى أشجـــان مفرقة ... فاستجمعت بك فضلا كل أشجانى (٣)
فأسكر القلب تفويضاً وطيب رضى ... إذا تمرّض فيه الصحو أشجانى (٤)
رضى يبرد حر النار إن لفحت ... عند الورود ويولى دار رضوان
وقد أتى فى صحيح النقل أن جزا الـــ ... ـــرضى رضاً فارض وامنحنى برضوان (٥)
كذاك راضية مرضيـة وردت ... بذاك فى خير تفسـير لقرآن (٦)
وقد عقدت على هذا الضمير كما ... منت الا بتلوينى ونسيـــانى (٧)
فارفعهما منعماً واغسل كدورهما ... عن واثق بك فى سر وإعلان

---

(١) خلان بضم الخاء المعجمة جمع خليل

(٢) فيه انز حاف يسير

(٣) فى نسخة فضلا منك أشجانى

(٤) فأسكر بالمبنى للمفعول

(٥) فى البخارى « قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ان الله يقول لأهل الجنة : يا أهل الجنة ، فيقولون : لبيك وسعديك والخير فى يديك . فيقول : هل رضيتم ؟ فيقولون : وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك . فيقول : ألا أعطيكم أفضل من ذلك ؟ فيقولون : يا رب أى شىء أفضل من ذلك ؟ فيقول : أحل عليكم رضوانى فلا أسخط بعده أبداً »

(٦) إشارة إلى قوله ﴿ يا أيتها النفس المطمئنه ارجعى إلى ربك راضية مرضية ﴾ أى راضية عن الله ما أعدّ لها ، مرضية رضى عنها ربها . قال بعض العلماء : يقال لها هذا عند خروجها من الدنيا ، فاذا كان يوم القيامة قيل ﴿ ادخلى فى عبادى ، وادخلى جنتى ﴾

(٧) على هذا أى على الرضـا من الله ، أى جزمت به جزماً لا ينحل إلا أن أبتلى بالتلون وتقلب القلب وبالنسيان ، وسأل الله ان يرفعهما عنه

وليس يعظم فى الفضل العظيم من الـــرب العظيم قبولى بعد عصيان
كم قد قبلت ظلوماً بعد معصية وكم هديت كفوراً بعد كفران
لا ينفع الجد أهل الجد منك ولا الأعمال لولا الهدى من خير منان
وإنما النافع المكتوب قبل تدا عن رحمة سبقت فى كل برهان (١)
فى عُشر معشارها عاش الخلائق قبـــل التوب والموت بل فى حال عصيان (٢)
هى البداية قطعاً والنهـاية إلا ما اختفى دقة عن كل إنسـان (٣)
وجملة الأمر أن الشر مفتقر إلى الرجوع إلى خير وإحسان (٤)
وذاك تأويل ما قد جاء مشتبهاً له أبى خضر وصل ابن عمـران (٥)
ومن غرابته حارت ملائكة السمـــاء فيه ولم يأتوا بسلطـان (٦)
فقصر الخطو فى رجوى تعرفه واقنع بجملة تسليم وإيمـان (٧)

---

(١) قبل تدا هكذا فى الأصل ولعلها « كذا »

(٢) اشارة الى حديث « إن لله مائة رحمة ، وانه ادخر منها تسعة وتسعين عنده ، وأنزل رحمة واحدة بها يتراحم العباد ، وترفع الدابة حافرها عن ولدها عند رضاعه »

(٣) انما كانت البداية للحديث القدسى « سبقت رحمتى غضبى » وكانت النهاية لأن الله يجمع المائة يوم القيامة . وقوله « إلا ما اختفى » يشير الى أنه قد يدق معرفة الرحمة على من يرى مبتلى بأى بلية عظيمة فيخفى عليه وجهها ويدق ، وهو واضح لمن آمن برحمة الله وحكمته

(٤) فكل ما يظن أنه شر ظاهر فانه خير وإحسان يرجع الى من أصابه الشر

(٥) أى إن الخير تأويل ما ترى أنه شر بأنه اشتبه على موسى عليه السلام ما فعله الخضر حتى أوّله الخضر

(٦) لما انكرت الملائكة أن يستخلف الله فى الأرض من يفسد فيها ، فانه مثل إنكار الكليم لما صدر عن الخضر حتى اجاب الله عليهم بقوله ﴿ إنى اعلم ما لا تعلمون ﴾

(٧) فلا تتعاط معرفة تأويل المتشابه فى افعاله تعالى واقواله ، بل اقنع بتسليم الأمر لله والإيمان به

وقال :

ألا مبلغ أهلي وصحبي أنني رأيت مراد الله في البعد عن نجد
فلا تجزعوا يا أهل ودي فربما قضى الله لي خيراً وبارك في بعدي
فان كليم الله فارق أمه رضيعاً وألقته إلى اليم في المهد
ولولا رباط الله ألقت بقلبها من الحزن أو كانت به أسفاً تبدي
وبعد فتون القتل صار بمدين ثماني أو عشراً صبوراً على الجهد
وأعجب من ذا شأن يعقوب وابنه بكى أو عمي من بعد يوسف والفقد
كذا أخرج الرحمن آدم إذ قضى خلافته في الأرض من جنة الخلد
وكان على وجه العقاب خروجه ليُحْلَى حُلى الأحزان والتوب والوجد (١)
وهاجر إبراهيم هاجر وابنها فصد بلا ذنب ولم يك ذا صد
وأعظم من ذا محنة شأن ذبحه لمحبوبه من غير ذنب على عمد
أراد بذا تحقيق خلته له وآيتها التوحيد في الحب للفرد
وذا السر فاعرفه إذا شئت حبه وإلا فدع دعوى المحبة والرد (٢)
فقولوا لأحبابي وأهلي وخلتي ومن كان حل القلب من سا كني نجد
أراني كاسماعيل والذبح هجركم وذاك وعلام الغيوب كذا عندي
عسى من فداه رحمة حين أسلما لمسلمنا من طول كربته يفدي
سلام على نجد سلام بلا قلى غراماً وان لم يبر وجدي ولا يجدي
أبى الله إلا بعد نجد وأهله عليك فخل الدمع يجري على الخد

---

(١) يحلى من الحلية وهي الزينة ، حلية الحزن على المعصية وحلية التوبة ، قال تعالى ﴿ فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه ﴾ وحلية الوجد فان الله يحب المنكسرة قلوبهم ، ويقال كل شيء ينقص قيمته بالكسر إلا قلب المؤمن

(٢) اى السر في امر الله هو ليفرد ربه بحبه ، فمن لم يفرد الله بالمحبة له فلا يدعى محبة الله

ولا تقنطن من رحمة الله بعد ذا ... فغاية بلوى الرب واجبة الحمد
كما كان فيما قد ذكرت وفى الذى ... تركت ونعما الرب تعظم عن عد
حبيب إذا أرضى مجيب إذا دعى ... عفو على العاصى قريب على البعد
اليـــه يرد الخلق و الأمر كله ... له العز فيما شاء والذل للعبـــد
وإنى لأرجو الله حتى كأننى ... أرى كل ما يخفيه مثل الذى يبدى

وقال رضى الله عنه :

إلهى إن عفوت يكن يسيراً ... عليك ومنة عظمى علينا
وكان العفو بعد الذنب فضلا ... وأولى بالكريم وإن عصينا
لذاك أتت أوامره تعالى ... بذلك فى شرائعه علينـــا[1]
وذلك أغلب الأسما عليه ... وأسبقهـــا وأجلهن زَينــا
وإن عذّبت كان عليك سهلا ... وأولى إن نظرت به إلينا[2]
وقامت حجة العبد الذى لا ... خفاء به من البارى علينا
فأمّل ما هو الأولى به لا ... تمل منه إلى نظر اليــنا
كذلك قال ابراهيم فيمن ... عصاه وهو أرجى ما لدينـا
وعيسى قد رجا أيضاً وقول الـــخليل النص فيما قد رجونا[3]

---

(١) نحو قوله تعالى ﴿ خذ العفو ﴾ ، ﴿ فاعف عنهم واصفح ﴾ ، ﴿ والعافين عن الناس ﴾

(٢) فانك إن نظرت الى العباد وعصيانهم وجدتهم حقيقين بالعقوبة ، وإن نظرت الى فضل الله وجدتهم مفتقرين الى العفو والغفران الذى هو به أولى

(٣) أراد قول عيسى عليه السلام ﴿ إن تعذبهم فانهم عبادك ﴾ وقول إبراهيم عليه السلام ﴿ ومن عصانى فانك غفور رحيم ﴾ . قال الشارح : ولا بد من حمل كلام ابراهيم على أنه أراد وفقهم للإيمان لأنك غفور رحيم لأن من عصى إبراهيم لا يكون إلا مشركا ، والله لا يغفر أن يشرك به

لأن الشرط شأن رجاء عيسى ولم يريا معاً فى العفو شينا
وفى ﴿ نبىء عبادى ﴾ ما يزيل الـــعمى والجمع أولى ما قضينا
كتعقيب الإله لنفى حصر ال أيادى ما تلا فيـــه وفينا [1]
كذا أهل التقى والعفو منـا ومنـــه تقرُّنا قلباً وعينا [2]
فلا تأمل نجاتك من سواها يكن ما ترتجيه منًّا ومينا
أليس له المشيئة والعطـايا فأى فضيلة ترجى لدينـا

وقال رضى الله عنه :

ليت شعرى وليتنى كنت أدرى أى دار يكون فيها خلودى
أبدار النعيم أخلد فى الفر دوس أم فى الجحيم ذات الوقود
حجب الغيب فى السوابق والخــتم فلا يؤمن انتقاض العقود
ولقـــد صح أنه يصبح المر ء حميداً ويمسى غير حميد
يصبح المرء مؤمناً ثم يمسى كافراً ، صح ذا بلا تقييـد
وكذا صح أنها تصبح الجنــة والنار منه غير بعيـد
مقلتى كيف نمت نوماً هنيـاً مع تجويز ذا العذاب الشديد
مقلتى كيف لا تفيضين دمعـاً عجباً مقلة وذات جمـود
مهجتى ما السلو هذا عذاب قد دنا منك فهو شر عنيـد
ليس تقوى له الجبال المنيفا ت ولا كل صخرة جلمود [3]

---

(١) يريد قوله تعالى فى آيتين ﴿ وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ﴾ وعقبها فى آية بقوله ﴿ ان الإنسان لظلوم كفار ﴾ فان الظلوم الكفار صفة العباد ، وفى آية ﴿ ان الله لغفور رحيم ﴾ وهذه صفته تعالى

(٢) يريد قوله ﴿ هو أهل التقوى وأهل المغفرة ﴾ فالتقوى منا والمغفرة منه تعالى تقر بها قلوبنا وأعيننا

(٣) فى القاموس : الجلمد الصخرة كالجلمود ، فوصفها تأكيداً

لو تكون الجبال فى النار ذابت　　وتلاشت فيها صلاب الحيود(١)
تضعف النفس أن تقوم لهذا　　كيف إلا الأجسام ذات الجلود
أيها النفس فكرى فى معادى　　من مماتى إلى دوام خلودى
سوف يأتى قطعاً ملائكة المو　　ت بما كنت منه قبل تحيدى(٢)
وتساقين من فراش وطىء　　ومهاد إلى سكون اللحود
ويخد الخدود قيح ودود　　وتسيل العيون فوق الخدود
واحذرى الموبقات ثم ارتجى الواسع علماً　　ورحمة الوجود
إن نكن نحن أهل كل عذاب　　فهو أهل لكل خير وجود
والذى الرب أهله هو أولى　　بنعوت البر الحميد المجيد
برنا فرعها فكن راجياً الأ　　صل واطرح رجا فروع العبيد(٣)
وثناه لهن من غير ثنيا　　مطمع فى ثناه بعد الوعيد(٤)
أمر الخلق بالتعافى جميعاً　　عن خطاياهم بلا تفنيد
وهو أعفى منهم ولم يجمعوا عشر عشير من رحمة المعبود
وإلى الخوف وارجاء تباهى　　كل حبر علامة معدود
كلما ذاق كأس وعد لذيذ　　بنجاة وطائر مسعود
جاء كأس من الوعيد مرير　　باحتمال الشقاء حتم الورود

---

(١) بالحاء المهملة ومثناة تحتية . فى القاموس : الحيد ما شخص من نواحى الشىء ومن الجبل شاخص كأنه جناح

(٢) ﴿ وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد ﴾ أى تهرب وتفزع

(٣) يريد أن البر الصادر من المخلوقين هو متفرع عن بر الله ورحمته ومجده ، فهو الواهب لنا كل صفة خير

(٤) ثناه الأولى ممدودة أى مدحه بأنه البر الحميد المجيد بلا استثناء يطمعنا فى ثناه بضم المثلثة أى استثناه بعد وعيده

والوعيدى لا يريد على تجو ير ذا بالغلو والتشـــديد
هـذه حالنا ومبلغ علم الخلـــق والعلم للحميد المجيـد

وقال رضى الله عنه :

رأيت ليلة الخميس رابع جمادى الآخرة سنة اثنتين وثلاثين أنى أكلم بعض الصالحين بكلام فى الفرق بين الحب لله وغيره فاستحسنته ، فلما استيقظت نظمته فقلت :

ما للمحب سوى الحبيب حوائج   تخلو فيخلو ـ إن تقضت ـ باله
بل حاجة العبد المحب حبيبه   إن لم يكن معه يهج بلبـاله
فهو الحقيق بأن يعز فصـاله   فيخافه وبان يدوم وصـاله (١)

وله رحمه الله :

يا نفس إنك ما خلقت لـكل ما   تهوين بل لمراد أحكم حاكم
فاذا توافق ما أردت وما قضى   وهو الكثير شكرت أرحم راحم
وإذا تخـالف فاصبرى فى نادر   متعقب قطعـاً بيسر لازم (٢)

وقال رحمه الله :

فقرى اليك غنى به أستبشر   وسوى سؤالك والرجا لا أذخر
أرجو وأدعو لا تزال تجيبنى   وتغيثنى ، وإذا عصيتك تســتر
والشـكر منك وهبته وشـكرته   وعليه تجزى يا شـكور وتغفر

---

(١) قوله يخلو بالخاء المعجمة فى اللفظين ، فالأول يخلو المحب بحبيبه ، فاذا خلا به تقضت حوائجه فيخلو باله عن كل مطلوب . ومعنى الثانى أن حاجة المحب حبيبه فلا يفارقه ، فانه إن فارقه يهج بلباله . ومعنى الثالث أن الحبيب حقيق بعزة فصاله أى انفصاله عن قلب محبه فيخافه إذا انفصل عنه ، وهو الحقيق بدوام الوصال

(٢) إشارة الى قوله تعالى ﴿ فان مع العسر يسراً ﴾ وأخباره تعالى قطعاً الصدق ، ولأن الواقع هكذا بالتجربة التى تفيد اليقين

وقال رحمه الله عقيب ألم ألمّ به :

يا من وهبت لى الهدى والعافيه عند اضطرارى والدياجر داجيه
والطب لم ينفع ولم يدفع ولا أهلى ولا صحبى ولا جيرانيه
والصبر يصعب والردى متوقع ودموع عينى فى المحاجر جاريه
تمم لى النعمى فانك سيدى ذو الطول وهاب العطايا الغاليه
بتمام ما أوليتنى ومنحتنى ودوام عفوك إن نفسى خاطيه
تعطى العهود ولا تفى فاغفر لها فضلا كفعلك فى المعاد علانيه
إذ قلت ويلك يا ابن آدم غادراً وتنيله ملك الجنان العاليه
حتى توافينى اليك مُجملا والنفس مرضىٌّ عليها راضيه
يا مرخص الغالى وهل أغلى من الأنفاس والما والهوا والعافيه
وكذلك الأسماع والأبصار والأ رزاق حسب صلاحنا هى جاريه
إلا المعاقَب بالذنوب فربما يطغى بها وتعيده فى الهاويه [١]

وقال الناظم :

هذه الأبيات قلتها فى طلب رؤية النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، فرأيته بعدها رؤية شافية :

يا أبرّ الخلق للناس معا أقرب الناس لما تهجره ؟ [٢]

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى ﴿ كلا إن الإنسان ليطغى ، أن رآه استغنى ﴾

(٢) نداء لرسول الله ، فهو أبر الخلق بالخلق . وأراد بأقرب الناس نفسه لأنه من قرابته . وسأل عن وجه هجره له ونداته لرسول الله لأنه حى فى قبره . قال الشارح : وإنه وإن كان الناظم غائباً عن حضرته وقبره فقد أتت الأحاديث بأن لله ملائكة سيّاحين يبلغونه صلاة من صلى عليه من أمته ، فكذلك نداء من يناديه قياسا على إبلاغه صلاة من يصلى عليه . وفى الهامش (لِمْ تهجره)

لم يرد غير تراق فى الكرى ... خيـال والدجى يستره

هو يرجو منكم البر غداً ... حيثما لا أحد ينصره [١]

كيف إلا زورة من طيفكم ... لمحب يشتهى يبصره

فبحق الحب زوروا مدنفاً ... يضمر الشوق كما يظهره

إن هجرانكمُ عار له ... أبداً لا يرتضى يذكره

قال رحمه الله:

ثم زدت فيها لطالب طلب الزيادة :

كلما ذل سؤالا لكم ... عز منع منكم يقهره

فارحموا صباً بكم مستهتراً ... حبه فى الترك لا يعذره [٢]

قلبه من هجركم منكسر ... فعسى عطفكم يجبره

يعمر الآمال فيكم والمنى ... والنوى يهدم ما يعمره

يا شفيعى إن تكن واخذتنى ... بالذى أرجوك تستغفره [٣]

فمن المرجو يا خير الورى ... كل غمر عفوكم يستره [٤]

ولأمر ما جعلتم شُفَعا ... ولكم يوم الجزا مفخره

ولكم يوم الندى أبحره ... ولكم يوم الظما كوثره

ولكم يوم العلا منبره ... ولكم يوم الرضى جوهره

---

(١) وذلك بشفاعته ﷺ

(٢) مستهتراً مولعا ، وحبه فى أن يترك السؤال لا يعذره

(٣) أى أنت أيها الشفيع إن واخذتنى بذنب رجواى رؤيتك فأنت ستغفره

(٤) قال الشارح : هكذا فى نسخة الديوان « غمر » وفيه شبه ضبطه بالغين المعجمة وأظنه كل ذنب

نسباً قد حزت أعلى خاتم منكم خنصركم عنصره[1]
عهد صدق عمر الرجوى فلا تهدم الأيام ما يعمره
وعليكم أفضل التسليم ما ذكر الرحمن من يذكره

وقال رحمه الله :

وقفت على قول ابن طباطبا العلوى :

خليلى إنى للثريا لحاسد وانى على ريب الزمان لواجد
أيجمع منها شملها وهى ستة وأفقد من أحببته وهو واحد

فعارضت ذلك بهذه الأبيات :

خليلى إنى للاله لشاكر وإنى على ما قد قضاه لصابر
وإن إلهى للأمور مدبر حكيم خبير عالم الغيب قادر
وإنى جهول للعواقب ظالم ولكن ربى واسع الفضل غافر
وإن إلهى ناصح لى مرشد ومن أنا هاو غادر لى ماكر
وان من المكروه ما هو نافع وان من المحبوب ما هو ضائر
وذلك يقضى أن تدبير مثلنا يضر إذا مالم تُعنا المقادر
ففوض إلى من يملك الأمر كله ومن هو للعبد المفوِّض ناصر
ومن لم يزل لى كافياً متكفلا ومن هو للزلات منى ساتر
بذلك وصى فى جميع كلامه وجاءت بهذا رسله والبصائر
وفيه جميع الخير والفوز والرضا من الله جاءتنا بذاك البشائر
وما السر إلا الامتحان بساعة تجلى بها عمن بلاه المخابر[2]

---

(١) الكلمة الأولى فى البيت غير ظاهرة ، وقد تكون قسما أو نسبا . وقد أشكلت على الشارح

(٢) أى إن حكمة الامتحان وسره الذى ينزل بالعبد ساعة يكون به تجلى الحقيقة عما ابتلاه : أيرضى فله الرضى ، أم يسخط فعليه السخط

ويخلص فيها من أمين برحمة ... ومن بعدها الرحمن للعبد جابر
فعول عليه فى تصبر مداعة ... فما أنت إلا بالمهيمن صابر
وصل على المختار والآل كلما ... تبلج صبح أوسقى الروض ماطر

وقال :

إن كنت تبغى وصالا لا فراق له ... فان ذلك فى دنياك معــدوم
والفوت والموت بالأحياء متصل ... والانقطاع من الأحبـاب محتوم
وإن أردت وصالا لا يدوم فقد ... أكثرت منه ومن يَرضَعْه مفطوم(١)
ومسعد الطبع فى حب الأحبة مجرو ... ح الفؤاد مدى الأزمان مكظوم(٢)
وإن يكن من فطام الرب مجترحاً ... فـكل خل بمر الموت مفطوم
وإن شر فطيم لا متــاب له ... ممـا جنى وفطيم الموت محروم(٣)
وقد أنفت على الستين فيه فما ... صفـا كما هو بالعادات معلوم
لـكن ما قبلها بالغم ذو كدر ... وبعدها بالفنا والخوف مسئوم(٤)
والنكس من بعدها نص فكيف ترو ... م الطيب فيه ومعنى النـكس مفهوم(٥)
وقد قضيت حقوق الجهل وافرة ... وشأنك الغى والإسراف واللوم

---

(١) المراد وصال الإنسان الذى لا يدوم وهو وصاله فى دار الدنيـــا لأحبابه وإخوانه ، فانه يذهب وينقطع بعد كثرته

(٢) إذ لا يزال يفارق من يحبه ، ففؤاده مجروح أبداً

(٣) شر الفطام فطام فقد المتاب ، ومن فطمه الموت عن غير متاب فهو محروم لفوات أعظم أنواع ما يرضاه الله

(٤) بالهمزة من السآمة

(٥) ﴿ ومن نعمره ننكسه فى الخلق ﴾ أى نقلبه فيه على عكس ما خلقناه قبل ، وذلك أنا خلقنا على ضعف فى الجسم وخلو من عقل وعلم ، ثم جعلنا ذلك يتزايد وينتقل من حال إلى حال إلى أن يبلغ أشده . فاذا انتهى انتكس

وما حصلت على دنيا ولا شرف ... وفاتك الفرس باللذات والروم
وما بقى لك إلا ما تثوب به ... من عمرك المتقضى وهو مظلوم
وما تنوح على ما قد جنيت به ... نسيته وهو عند الله معلوم
فازهد بباقيه زهد البوم إذ سكنت ... خرابها وأجب إن ناحت البوم
واعمر ديار البلى من قبل تنزلها ... فما عمرتَ وما شيدت مهدوم
فقد دنت هذه وتلك قد بعدت ... والحق حق وغير الحق مذموم
وليس للعبد إلا لطف خالقه ... والناس فى ذاك مخزىّ ومرحوم
فافزع إلى الله يحفظ فيك نعمته ... فان يُضعك فحبل الفوز مفصوم[1]

وقال رضى الله عنه :

وفى هذه المدة وهى عقيب البلوغ أوائل التكليف ، خرجت يوم العيد إلى جانب جبل نقم ، وذكرت أنه ليس لى فى صنعاء رحم ولا حبيب أزوره ، فصليت هناك وقلت :

كلٌّ يزور حبيباً فهو يكرمه ... فما كرامة عبد زار مولاه
كرامة العبد من مولاه يعتقه ... من العذاب ويهديه ويرضاه
إما يوفقه فضلا ويصلحه ... أو لا يؤاخذ إن طمت خطاياه[2]
والله كاف لمن يرجوه وهو لنا ... نعم الوكيل تعالى ربنا الله

وقال رحمه الله :

أغاظك فوت أخس الأمور ... وقد فات موسى المراد النفيس
أراد من العلم مكنونه ... ففارقه فيه نعم الأنيس

---

(١) بالفاء والصاد المهملة : مقطوع . يريد ان لم يحفظ الله نعمته على عبده فحبل فوزه فى الآخرة مقطوع

(٢) فى القاموس : طمى الماء يطمى طمياً علا ، يريد إذا كثرت الخطايا

وهذا الخليل نهى عن أبيه ونوح عن ابن كفور خسيس
وآدم أخرج من جنة بكيد اللعين الخبيث التعيس
وأحمد لم يستجب فى الثلاث وليس له فى العلى من نفيس (١)
وفارق فى عمـره بالممات وبالسيف رب حبيب أنيس (٢)
كحمزة بعد أبى طالب وكان يعدهما للخميس
وفارق حيدر بعد النبى فاطمة لجفاه الجليس
وهد القرابة والمسلمين يوم الرموك ويوم الخميس (٣)
فادوا بشجوهم أجمعين كأنهم شربوا الخندريس
وما أحد نال كل المراد ممن يقيس ومن لا يقيس

وقال رضى الله عنه :

ميل القلوب إلى سواك حرام والغانيات جميعها أصنام
فاغفر لقلبى حب غيرك ضلة واغسله عنه كأنه أحلام
وأفض علىّ سجال حبك رحمة فلك الأيادى العم والأنعام

(١) إشارة إلى حديث عامر بن سعد عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال « سألت ربى ثلاثا فأعطانى اثنتين ومنعنى واحدة . سألت ربى أن لا يهلك أمتى بالسنة ، فأعطانيها . وسألت ربى أن لا يهلك أمتى بالغرق فأعطانيها . وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها »

(٢) فارق بالممات خديجة رضى الله عنها ، وبالسيف حمزة رضى الله عنه

(٣) إشارة إلى يوم موته ﷺ وما كان فيه من هد ربوع الإسلام وهجوم الخطوب العظام . وأشار بيوم الخميس إلى ما قال ابن عباس رضى الله عنه : يوم الخميس وما يوم الخميس ، وبكى حتى بل دمعه الحصا . قلت : يا ابن عباس وما يوم الخميس ؟ قال اشتد برسول الله وجعه فقال : ائتونى بكتف أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبداً فتنازعوا . وفى رواية قال : قوموا عنى فما ينبغى عندى التنازع . فخرج ابن عباس وهو يقول : إن الرزية كل الرزية ماحال بين رسول الله ﷺ وبين كتابه

وله رحمه الله مقرراً للبيت الأول:

(ما أحسن الدنيا والدين إذا اجتمعا) لا بارك الله فى دنيا بلا دين
فاظفر بدينك إن عز اجتماعهما فقلما اجتمعا إلا مع الدون
واستغن بالله عن دنيا الملوك كما استغنى الملوك بدنياهم عن الدين

وقال رضى الله عنه فى التخويف والرجاء:

إذا خاف الخليل وخاف موسى وآدم والمسيح وخاف نوح
ولم يتشفعوا للخلق خوفاً فما لى لا أخاف ولا أنوح
كذاك من الحجارة هابطات لخشيته وأملاك وروح
فهذا خوف من لم يعص قطعاً فكيف المسرف العاصى الجموح
ولست بقانط والله حسبى ولا أغدو بذاك ولا أروح
ولم يفت المدى عبّاد عجل بتوبة ربهم وهو المنوح (١)
وأطمع أكفر الكفار فيها بشرط فى الوعيد له وضوح (٢)
وعقّبه بذكر التوب منها ورجحه بطيب ثنا يفوح
غدا فى سورة الأحزاب نصاً فليس لمسرف عنه نزوح
وكم لى من مراهم فى الترجى وبالإسراف تنتقض القروح (٣)
أخاف وأرتجى أضعاف خوفى لأن الله وهاب سموح

---

(١) المانح المعطى . يريد أن مما ينفى القنوط أن عباد العجل الذين قالوا ﴿ لن نبرح عليه عاكفين ﴾ قبل الله توبتهم كما قال ﴿ وإذ قال موسى لقومه يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الى بارئكم - الى قوله - فتاب عليكم ﴾

(٢) أكفر الكفار هم المنافقون ، قال تعالى ﴿ ويعذب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم إن الله كان غفوراً رحيما ﴾

(٣) القروح : الجراحات والآلام ، المفرد قرح بالفتح والضم

عفـــو قادر ملك غنى رءوف واسع مولى صفوح
يعافى عبده حينـاً ويعفو ومنه يرتجى التوب النصوح
وإن يعدل يعذبنا حميـداً وأدمعُنا برجـواه سفوح
ولسنـا قائمين له بحق وإن جرحت عواتقنـا المسوح (١)

وقال رضى الله عنه :

الحمد لله . سألت الله تعالى بشرى فى بعض الأسحار وأنا على طهارة ، فنمت ، فرأيت فقلت :

سيغفر للعبد المسىء المقصر مليك بذنب العبد لم يتضرر
ظلمنا بنص الذكر أنفسنا فإن نوحد ونستغفره للذنب يغفر
إذا ما أقر العبد بالذنب سائلا له العفو لم يعجز ولم يتضجر
تعالى العزيز الحق ليس بظالم وليس بمظلوم أعز مقدر
مقدِّم ما يرضاه خير مقدِّم مؤخِّر ما لم يرض خير مؤخر (٢)
له الأمر والخلق الجميع وحكمه تجلى وتخفى للفطين المفكر (٣)
تجلى لنا فى المحكمات وتختفى بمشتبهات فى حجاب مستتر
ولا بد أن يغدو جلياً بيانها وبرهانها كالساطع المتنـوِّر
فكن راسخاً فى العلم بالغيب مؤمناً وإياك يوماً أن تشك وتمترى
فقد جهل الأملاك فى شأن آدم وأنكر موسى المصطفى غير منكر

---

(١) المسوح : مايلبسه العبّاد من ثياب الصوف

(٢) مقدم ومؤخر بصيغة اسم الفاعل صفة لله ، يريد أنه يقدم جزاء ما يرضاه ، ويؤخر عقوبة ما لم يرضه

(٣) حكمته تتجلى أحياناً للذكى فيعرفها ، وتختفى أحياناً فيؤمن بها ، وبين ذلك فى البيت الذى يليه

إلى أن أتى التأويل من خَضِرٍ له — وعز عليه نيل ما لم يقدر
ففورق محبوباً عن السر مرتضى — فمن كان فيه طامعاً فليقصر
ففوض إلى من يملك الأمر كله — واخلص له واعبده واصبر تُصبَّر
ولست بغير الله للصبر حاملا — كما جاء نصاً فى النبى المطهر (١)
فكن شاكراً لله فى الصبر والهدى — وشكرك أيضاً نعمة فتدبّر
تعالى الشكور الحق يشكرنا على — مواهبه فاعرف له الشكر واشكر

وقال رحمه الله فى الشكر والرضى :

لو تمنيت ما تمنيت إلا — دون ما قد وهبت يا خير معطى
فالذى خالف اختيارى خير — منه قطعاً لكننى أنا مخطى
فأتم المعروف واختم بخير — قبل موتى فاننى غير مبطى
يا قديم الإحسان يا دائم المعـ — ـروف اعتق ومُنّ من غير شَرطِ
فبشيبى وقرب موتى وضعفى — قبض الخوف بالعناية بسطى
فعسى ذاك رائد الفوز والخـ — ـتم بخير وفيه تقريب شطّى

وقال رحمه الله :

رأيت منامات مخوفة مع مبشرات كثيرة فى محرم سنة ٨٣٤ ، فاشتد خوفى وتضرعى وتلطفى وسؤالى بشرى ، فرأيت نصف بيت وهو « بينى وبينك ود ليس ينقطع » فانتبهت وفهمت الإشارة ، فسجدت شكراً لله تعالى إذ كانت البشرى من الله بالنص وقلت :

بشرتنى يا رجائى بعد خوفى أن — بينى وبينك ود ليس ينقطع
وقبل ذلك كان القطب بشرنى — بذا وشملى به فى الحج مجتمع (٢)

---

(١) ﴿ واصبر وما صبرك إلا بالله ﴾

(٢) القطب هو الشيخ العارف الربانى عمر العرابى أيام الاتفاق به فى مكة المكرمة

وكم أعد بشارات ومرحمة　ومو قظات بها النساك تنتفع
لك المحامد لا المداح تبلغهـا　ولا لها الدهر والأزمان تتسع
والحمد منا عليها منك موهبة　فالجمع حق فما الجمع ينصدع
لعل تفريق جمع منك مرحمة　فربما صح جسم شفه الوجع (١)
رضيت أحكام معبودي عليّ ولى　إلا بتلوين طبع ليس ينخلع
إلا برحمة ربى إنها كتبت　للمؤمنين وللأشيـــاء تتسع
فى عشر معشارها عاش الخلائق والـــوحوش فى البر لا عشر ولا تسع (٢)
تحنو الطيور على أولادهن بأد　نى الحظ منها ويحنو الوحش والسبع
وما لعبد أمان قبل ميتته　إلا رجاء وفيه الخوف والفزع
كأننى فى رجائى طائر فزع　يسارق الشرب ماساغت له الجرع

وقال رحمه الله :

أقول إذا ما ثبّت الله منطقى　وكان من القول الحميد ممكنا
إذا قال ربى ما فعلت أقول قد　علمتَ فلا تفضح لك الحمد والثنا (٣)
فلا منكر ذنباً ولا منكر لما　جزيت إذا عافيت عبدك محسنا
فان شئت عذبنى بغير ملامتى　فما زلت محتاجاً لعدلك معلنا

---

(١) قال أبو الطيب فربما صحت الأجسام بالعلل . وشفّ بمعنى رق من النحول

(٢) فى الحديث « إن الله خلق مائة رحمة يوم خلق السموات والأرض ، كل رحمة منها طباقاً ما بين السماء والأرض ، فأهبط منها رحمة الى الأرض ، فبها تراحم الخلائق ، وبها تعطف الوالدة على ولدها ، وبها يشرب الطير والوحش من الماء ، وبها يعيش الخلائق . فاذا كان يوم القيامة انتزعها من خلقه ثم أفاضها على المتقين وزاد تسعا وتسعين رحمة . ثم قرأ ﴿ ورحمتى وسعت كل شىء فسأكتبها للذين يتقون ﴾

(٣) هو مأخوذ من قوله تعالى حكاية عن رسله يوم يجمع الله الرسل فيقول ﴿ ماذا أجبتم ؟ قالوا لا علم لنا ، إنك أنت علام الغيوب ﴾

وزدت على التعديل ما قد علمته ... من الحمد هل عذبتنا أو رحمتنا
ولى فيك ديوان (١) سقيت فنونه ... دموعى فأضحى نظمه متفننا
وكنت امرءاً أهوى البراهين فى الثنا ... فرصعتها فيه فجاء مبرهنا
وما هو إلا منك من منتته ... علىّ ومنك المن والشكر يقتنى
وأنت الشكور البر علمتنا الثنا ... عليك كما علمت آدم قبلنا (٢)
وعدت على ما قد وهبت تفضلا ... تقيم به عذراً لنا وتثيبنا
كإسجاد أملاك السماء لآدم ... بتعليم أسماء بها كنت محسنا
فهبنى من الخلق الذين خلقتهم ... لأفضل جنان الخلد من بعد بعثنا
وفى خبر النجوى أتتنا بشارة ... بأنك إن حاسبت يوماً سترتنا
رواه البخارىّ الإمام ومسلم ... فبرّد منا من لواعج خوفنا (٣)

وله رحمه الله فى تحقيق التوكل :

أنت المؤمل دون كل مؤمل ... أنت الرجاء وما سواك محال
لا الجد ينفع منك صاحبه ولا الأ ... موال كاسبها ولا الأعمال
إلا بفضلك إن مننت بها ولم ... تحبط بعدلك فهى منك نوال
كل الثلاث على الصحيح حواجب ... للخلق عنك وكلهن خيال (٤)

---

(١) يريد هذا الديوان

(٢) إشارة الى قوله تعالى ﴿ وعلم آدم الأسماء كلها ﴾ ومنها ألفاظ الثناء ، ونحو ﴿ فتلقى آدم من ربه كلمات ﴾

(٣) إشارة إلى ما رواه صفوان بن محرز المازنى قال « بينا ابن عمر يطوف إذ عرض له رجل فقال : يا أبا عبد الرحمن ، أخبرنى ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى النجوى . قال : سمعت من رسول الله يقول « يدنى المؤمن من ربه حتى يضع عليه كنفه ، فيقرره بذنوبه يعرفها : ذنب كذا ، ذنب كذا . فيقول : أعرف رب ، أعرف رب - مرتين - فيقول : سترتها عليك فى الدنيا وأغفرها لك اليوم . ثم تطوى صحيفة حسناته

(٤) أراد بالثلاث : الجد ، والأموال ، والأعمال

لو كانت الأعمال تنجى وحدها ... أمن الخواتمَ بعــــدها العمال
ولقد تخوف منك أملاك السما ... والرسل لم يؤمنهم الإرســال
إن السوابق والخواتم أزعجت ... أهل الصلاح وكدرت ما نالوا(١)
وكذا لو اوجبت العقوبة بتة ... وجب القنوط وما اهتدى الضلال(٢)
كم قد هديت بغير جهد كافراً ... وكم امتحنت فبــدّل الأبدال(٣)
ما الخلق إلا بين خوفك والرجا ... يكبو الحليم ويبطل الأبطال
وتقطع الأكباد من خوف الجفـا ... بعد الصفــــا وتعاظم الأوجال(٤)
وإذا بدا نور الجمـــال لناظر ... كالبرق يومض رده الإجـلال
خوفت أهل الخير إصلاحاً لهم ... ولك الأيادى العُمّ والإفضال(٥)
فالعز أقهر والمواهب جمــــة ... وبغــير فضلك ضاعت الآمال(٦)
أو لست تنشى للجنان خلائقاً ... بالفضل منك وما لهم أعمــــال
تملا بهم فضل الجنان تفضلا ... وكذاك حور العين والأطفـال

---

(١) السوابق : ما سبق به كتاب العبد الذى أفاده حديث ابن مسعود عند الشيخين « إن الله يأمر ـ بعد نفخ الروح فى العبد وهو فى بطن أمه ـ بكتابة رزقه ، وأجله ، وعمله ، وشقىّ أو سعيد . قال ﷺ : إن أحدكم يعمل عمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع ، فيسبق عليه الكتاب ، فيعمل عمل أهل النار فيدخلها » . وثبت أن الأمور بخواتيمها

(٢) بل أبقى العباد بين رجائه وخوفه

(٣) الأبدال : جمع بدل وهم طائفة من الأولياء . قال أبو البقاء كأنهم أرادوا أنهم أبدال الأنبياء وخلفاؤهم ، وفيهم أحاديث . قال الحفاظ : إنها لا تخلو عن مقال . ومن الأبدال المبدلين أهل الكتاب ، فانهم لما جاءهم ما عرفوا كفروا به

(٤) أى يعظم خوف أهل التقى والصفا خوف الإعراض والجفا

(٥) قال تعالى فى صفة الأنبياء ﴿ ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله ﴾

(٦) ﴿ وهو القاهر فوق عباده ﴾ ومواهبه كثيرة ﴿ وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ﴾

وبمثل ذا وقعت وجات هفوة　　في نفي حكمة من له الإجلال
حاشاه من لعب ومن عبث وان　　للعلم منه تُضرب الأمثال
ما السر إلا في التوكل والرضا　　وبحب ذاتك عنهما أشغال
وقرنت بالطاعات فضلك وهي من　　نعماك حتى شكرها إفضال
جف الكتاب لعامليها بالرضا　　فهم بلا جبر لها عمال (١)
أولست مبدلهم من الظلمات أنـ　　ـواراً وهاديهم وهم ضلال
سبقت لهم من فضلك الحسنى كما　　بشرتهم قِدماً وهم جُهال
وإذا وكلت إلى المقرب نفسه　　يوماً تحول فيه منه الحال
كالحال في داود حين بلوته　　لما بدا بالعجب منه مقال (٢)
وكذاك آدم حامل لإمانة　　خضعت سماوات لها وجبال
كل رواه الحاكم النقاد في　　مستدرك هو للصحيح كمال
فلذاك سمى الله جنة خلده　　فضلا وإن سبقت لها الأعمال
وكذاك صح بأنها من فضله　　جمعت بذا الأنظار والأقوال
والباء للأسباب لا الأثمان　　فالأثمان في نعم الإله محال (٣)

---

(١) أي سبق قلم الكتابة في اللوح بما هو كائن من أعمال العباد الصالحة والرضا بها ، وإلا فالكتاب قد جف بالأعمال صالحها وطالحها ، وهو إشارة الى حديث « جف القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة » وقوله « بلا جبر » أي كان فعلها بالاختيار ، ولا ينافيه سبق كتابتها ، إذ لا دليل فيه على الإجبار

(٢) إشارة الى ما أخرجه الحاكم وصححه والبيهقي في « شعب الايمان » عن ابن عباس قال « ما أصاب داود ما أصابه بعد القدر إلا من عجب نفسه فقال : يا رب ما من ساعة من ليل أو نهار إلا وعابد من آل داود يعبدك يصلي لك أو يسبح أو يكبر ، وذكر أشياء ، فكره الله ذلك وقال : يا داود إن ذلك لم يكن إلا بي ، فلولا عوني ما قويت عليه . وعزتي وجلالي لأكلنك الى نفسك يوماً . قال : يا رب فأخبرني به ، فأصابته الفتنة ذلك اليوم

(٣) أحال الأثمان في نعم الإله لأن الأثمان منه تعالى ، وإن تفضل الله بشراء =

وكذاك فى الأقدار لم ينظر إلى الأ عمال وهى بحالهـــا أعمال
ما كان بالجبر المزيف فعلهـــا كلا ولا فى فعلهـــا إهمال
بل حكمة طويت عن العقلاء قالـــعقل الصحيح من الضلال عقال

وقال رحمه الله فى سؤال الرحمن تعالى :

لا تطلبنْ من غير ربك حاجة إن كنت بالرحمن ذا إيمان
ومن الذى يستبدل الضعفاء والـــفقراء والبخـــلاء بالرحمن
أو يشترى الظلمات بالأنوار أو يرضى يعود بأخسر الخسران
فوض إلى المعبود أمرك كله وافزع إلى المولى بغير توانى
واقرع إذا نام الأنام وغلّقوا أبوابهم باب النوال الهـانى
باب الذى بسط اليدين بليله ونهاره لتدارك العصيـــان
ويداه مبسوطان للاحسان ما قبضت يد خوفاً من النقصان
باب الذى إن لم تسله فضله يغضب فكيف يرد بالحرمان
باب المجيب إذا دعاه مرتج لاج إليـــه ماله من ثانى
الواعد العبد الإجابة إن دعا فى آيتى بشرى من القرآن
باب الذى نَبّأ الرسول بقربه ليبشر الجهلا من العُبـــدان
باب إذا لم تأته متـذللا لم تحظ بالإيمان والغفران
وخسرت فى كل الأمور فلم تفز بمنى وعدت بخيبـــة وهوان
باب الذى يغنيك عن زيد وعن عمرو وعن ثان وعن أعوان
باب الذى إن يعط كلاً سؤله لم يُلفَ منتقصاً مدى الأزمان
باب الذى لو يتقيه الخلق ما زادوه فى ملك ولا سلطان

= ما وهبه بما تفضل به حيث قال ﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ﴾ فهو تعالى أعطاهم الأنفس والاموال ، وشراؤها منهم افضال فى افضال

باب الذى ان يكفروه الخلق ما نقصوه بالكفران والطغيان
باب الذى أهل السموات العلى يتضرعون إليه والثقَلان
فلذاك يغدو كل يوم وهو فى شأن كما فى سورة الرحمن
باب الذى لا خير إلا عنده بيديهِ كل منى وكل أمان
باب الذى يرجى لكل ملمة لعظائم الآلام والحدثان
باب المعز والمذل لمن يشا باب المجير للطعم المنان
الحى قيوم الخلائق كلها الواسع الرُّحْمىَ العظيمُ الشان
المرتجى وسع الخلائق رحمة بل كل شىء نُصّ فى القرآن
آلىٰ كتابتها وجوباً فهو مختص بأهل الدين والإيمان (١)
باب الذى علم الغيوب مقدراً ما كان من شر ومن إحسان
بالعلم والحِكَمِ الخفية لم يكن عبثاً تعالى دائم الإحسان
فاعبده وارتج راضياً بقضائه واحذره لا تقطع بنيل أمان
فالعبد ليس له على المعبود مِنْ حكم ولا ينجو من العصيان
ولذاك حاد الرسل من أن يشفعوا إلا المبشر قبلُ بالغفران (٢)
أو ما سمعت بِلَوْ الى من دابة فى الخلق نص ليس بالادعان (٣)
فالخوف حق مصلح للعبد أو يلقى الكريم البر بالديوان (٤)

---

(١) إشارة إلى قوله ﴿ فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة ﴾

(٢) ورد فى حديث الشفاعة « ويجىء الناس إلى الانبياء - آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى - فيذكر كل واحد ما له من خطيئة ويخاف على نفسه ، إلا عيسى فلا يذكر ذنباً ، فيأمرون الخلائق أن يأتوا محمداً صلى الله عليه وآله وسلم ، فيأتون اليه فيقول : أنا لها ، أنا لها . ولا يذكر ذنباً » والحديث مشهور معروف

(٣) يريد ﴿ ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة ﴾ والإدعان لعله من قولهم دعن دعانة : بجن

(٤) كتاب الحفظة

فيقرر العبد الضعيف بذنبه نجوى ليستر كل عبد جانى
إلا المنافق والكفور كلاهما يخزى صحيح ليس بالبهتان [1]
فهناك تحظى بالأمان بفضله لا قبلها فاعمل بغير أمان [2]
ان السوابق والخواتم حجبت لدوام خوف الله والهيمان [3]
فالعارفون بذا على خوف وإن عملوا وسُموا منه بالرهبان

وقال رحمه الله :

دع الأمر إن أخطأت فيه فقاحش كثير وإن لم تخط فهو مباح
وما كل تأويل له الله قابل ولا كل ظن ليس فيه جناح [4]
فقد مرقت فيه الخوارج إذ غدوا كلاباً لهم وسط الجحيم نباح
ولن تستطيع الحزم إلا بلطف من له الحمد فيما كان فيه صلاح
فمدّ اليه فى الدجى كف ملتجٍ له رنّة مما جنى ونواح
تجده رحيما واسعاً متعطفاً له فى حساب الخالطين [5] سماح
ففوض اليه الأمر وارض بحكمه يقلك ولو قد هيض منك جناح
ولا تحسبن غير التوكل والرضا فلاحاً فما فى غير ذين فلاح
هما منتهى الإقدام من كل صالح براهينه فيما يقول صحاح

---

(١) ورد فى الحديث أنه ينادى عليهم : هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ، ألا لعنة الله على الظالمين . وقال تعالى ﴿ يوم لا يخزى الله النبى والذين آمنوا معه ﴾

(٢) أى لا أمان للعبد إلا بعد النجاة ، فليعمل المؤمن فى دار الدنيا بغير أمان

(٣) مصدر هام يهيم

(٤) نهى عن التأويل والتظنن ، وأنه ينبغى للعبد فيما أشكل عليه السكوت . وقوله « ولا كل ظن ليس فيه جناح » دليله ﴿ إن بعض الظن إثم ﴾

(٥) الذين ﴿ خلطوا عملا صالحاً وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم ﴾

وقال رحمه الله فى ذكر الحمام الطائر المعروف:

جاورتنى الحمام وهى تنوح … فشجانى منهن نوح صريح
غير أن الشجىّ لا يلبس الوشى وقـــد زانهنّ وشى مليح
وخِضـاب كأنه فى عروس … ووصال يَبَلّ منـه الجريح (١)
أين هى من دوام بعدى وهجرى … وانفرادى عن كل خل يريح
واختصاصى بذكر ما قد تقضّى … ووشـاة من همهم لا أبوح
وبهمّى الآتى غداً بعد موتى … وحساب يجرى وقسم فضوح (٢)
واهتمامى بشغل يومى وحالى … وهموم أغدو بها وأروح
فاذا نحت حق لى صدق نوحى … وغرام العقـول حق صحيح (٣)
فاذا ناحت الحمامـــة مثلى … فهو سجع يُريحهـا مملوح
لو شجاها الفراق لم تحسن الصو … ت وأنّت والدمع هام سفوح
هنّ روح بغـير همّ وعقل … ومعى همـة وعقل وروح (٤)
لو تفـكرت ما سليت ولـكن … حسبى الأكرم الرءوف السموح
العزيز الحـكيم من غلبت رحمتـــه سُخطه حـــديث صحيح
وصلاتى على المشَفع فينـا … جدنا المصطفى الفصيح الصبيح

---

(١) أبل المريض نجا من مرضه

(٢) كأنه يريد انقسام الناس إلى شقى وسعيد كما قال تعالى ﴿ فمنهم شقىّ وسعيد ﴾

(٣) الغرام الولوع ، يريد ان العقول لها ولوع صحيح بما ذكره من الأمور التى لا تهم إلا كامل العقل

(٤) أبان الفرق بينه وبين الحمام بأنهن ذوات أرواح ، فكل حيوان ذو روح ، لكن ليس له هم ولا عقل ، وهو يشاركهن فى أنه ذو روح واختص بالهمة والعقل

وله رحمه الله :

بيد الإله الفضل لا بيديك فى الـــذكر الحكيم وفى الحديث وفى النهى [١]
والرسل فضّل بعضهم متفضّلا والبهم فى الاختيار المنتهى
وكذا الملائك فضلهم متفاضل وهم الذين علوا على رأس السُّهى
لو كان ذا بيد العباد لما انتهى منهم كريم أو يكون كما اشتهى [٢]
فخذ الذى أوتيته واشكر لمن آتاكه وأقم بهم متشبها
فبذاك أدَّب ربنا موسى وقد طلب العيان فكن له متنبهـا
ولقد أسفت من التفاضل ليلة فرأيتنى فى ذا أقول منبَّهـا [٣]
إن لم يكن لك ما تريد فكن مع يداً ما يكون وكن له متوجها
واسأل إلهك أن يزيدك إنه ذو الفضل ليس لفضله من منتهى
فالقلب راض واللسان مسائل أدباً فكن فى هـــذه متفقها

وقال :

أخسّ العبيد عبيد الهوى وإنك منهم أرقّ الأرقّا [٤]
فكاتب وفُكّ بما فى يديك تعتق من الذل عتقـا [٥]

---

(١) يعنى ﴿ إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء ﴾ ، وفى الحديث « والخير كله بيديك » والنهى العقل ، وكل عاقل يعلم أن الفضل كله بيد الله

(٢) أو هنا بمعنى إلى أن يكون

(٣) اسم مفعول : أى نبهه الله عز وجل

(٤) ذمّ لمن كان عبداً لهواه ، قال الله تعالى ﴿ واتبع هواه وكان أمره فرطا ﴾ ثم خاطب نفسه بأنه عبد لعبيد الهوى أو واحد منهم

(٥) أى كاتب مالكك وهو الله وحده بكل مافى يديك . وقوله « رقك » مفعول لفك ، أى فك ملك الهوى يعتقك الله عز وجل من رق الهوى .وفى البيت نقص كلمة مثل صاح اونحوها بعد الذل

ولن تستطيع بغير الإلـــه ونعم المجيب لداعيه حقا [١]
فشق إليه عيون الدموع وشق الدجى للمناجاة شقا [٢]
ولا ترج شيئاً سواه تفز ومن يرج مولًى سوى الله يشقى

وقال رضى الله عنه :

أنشدنى شيخنا العلامة ابن ظهيرة بمكة المكرمة :

(إذا مرضنا تداوينا بذكركم ونترك الذكر أحياناً فننتكس) [٣]

فزدت عليه :

حياتنا إن ذكرناكم ولو نَفَساً وموتنا ان خلا منا لكم نفس
وذكرنا فرع ذكراكم لنا كرماً ذكراً هو الشمس منه ذكرنا قبس [٤]
وذاك فى سورة الأحزاب يخرجنا جوداً إلى النور لمَّا عمنا الغلس [٥]
فساعدونا على ذكراكم أبداً عسى يدال على استيحاشنا الأُنس [٦]

---

(١) لن تستطيع الخروج عن رق الهوى إلا بالله ، فناده يجب إلى ما تريد

(٢) لأن جوف الليل ساعة الدعاء المجاب

(٣) النكس والنكاس بضمهما : عود المرض بعد النقه كما فى القاموس

(٤) يريد قوله تعالى ﴿ اذكرونى أذكركم ﴾ فالذكر منه كرما وإكراما لعبده وهو كالشمس ينور قلوب المذكورين ، وذكر العبد ربه شعبة منه وفرع عليه

(٥) إشارة إلى قوله تعالى ﴿ هو الذى يصلى عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما ﴾ والغلس : الظلمة

(٦) بضم الهمزة وبالتحريك ـ أى فتح النون ـ ضد الوحشة . ويدال بضم حرف المضارعة : يبدل

وقال :

دع عنك تذكار الغضا والحمى ... وحاجر والمنحنى والعقيق
والغور والبان ونعمانهم ... فغورهم فى الغور غور عميق
وذكر سَلْع والعُذيب الذى ... يعذب فيه كل نظم رقيق[1]
وانس أفانين حديث الهوى ... فإن سكران الهوى لا يفيق
ودع أحاديث النقى واللوى ... ودارس بال بلاء المشيق[2]
وساكنى نجد على أنهم ... بين صديق صادق أو شفيق
ما منهم إلا صحيح الإخا ... بانى العلى يجلو به كل ضيق
واحذر خطاياك التى أسلفت ... يداك واحذر حر نار الحريق[3]
لا تحسب العيش طويلا فما ... أقل فى الخلد زمان الطريق[4]
وإن داراً لست تبقى لها ... ولا على الراحة فيها تطيق[5]
أحق بالإهمال من دارك الأخـ ... ـرى التى تبقى بها لو تفيق
وإنها أقرب من دارك الد ... نيا فلا تنس القريب الحقيق
إذ كنت فى اللحظة تدنو لها ... وذاك يدنى كل أمر سحيق[6]
وعكسها دنياك بعداً لها ... فليس حبل الود منها وثيق

---

(١) أسماء أماكن يتغزل فيها الشعراء

(٢) قال الشارح : المشيق لم أجده فى القاموس ، ولا أدرى ما أراد به رحمه الله

(٣) هو من قوله تعالى ﴿ ذلك بما قدمت يداك ﴾ الآية

(٤) العيش فى الدنيا إنما هو طريق إلى دار الخلود من جنة أو نار ، وكل سيار يقطع الطريق إلى محل إقامته

(٥) دار الدنيا لا يبقى بها ساكنها بل هو راحل عنها ، ولا يطيق الراحة فيها بل راحتها أحزان ، وأى راحة لراحل عنها

(٦) لأنك لا تزال تدنو من دار الآخرة ، وكل آت قريب

تبعد باللحظة عنها ولا تبرح فيها كل حين غريق [1]
وأنت بالألطاف تنجو وقد أنساك ذكر الموت ستر رقيق
والموت قطعاً كاشفاً ستره وسكره ليس كسكر الرحيق
فكن برب الخلق مستعصما مستأنساً نعم اللطيف الرفيق
لا تنسه إن كنت ذا فطنة فما إلى الفوز سواه طريق

وقال رضى الله عنه :

دع الرحمن يفعل ما يشاء وطب نفساً إذا نزل القضاء [2]
ولا تحزن لحادثة الليالى فما لحوادث الدنيا بقاء
وأمر الله محتوم علينا بما فيه السعادة والبلاء [3]
فكن رجلا على الأحوال جلداً وشيمتك السماحة والوفاء
ولا تُرى العدا إلا جميلا فإن شماتة الأعدا بلاء
ولا تبك على ما فات حزناً فليس يردُّ ما فات البكاء
إذا ما كنت ذا قلب قنوع فأنت ومالك الدنيا سواء
وثق بالله وارض به وكيلا ففى الثقة السعادة والهناء
له ما ترتجيه وتتقيه وليس من الذى يُقضى وِقاء
ويرزق من يشاء بلاحساب ويحرم من يريد لما يشاء
لعلم بالمصالح لا ضلال كما قضت النُّهى والأنبياء [4]

---

(١) كلما قربت من الآخرى بلحظة بعدت عن الدنيا ، وأنت غريق قد أغرقتك الدنيا وشهواتها

(٢) معنى دع الرحمن الخ : دع الاعتراض على القضاء.

(٣) قال تعالى ﴿ ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم إلا فى كتاب من قبل أن نبرأها ، إن ذلك على الله يسير . لكيلا تأسوا على ما فاتكم ، ولا تفرحوا بما آتاكم ﴾

(٤) ﴿ ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الأرض ﴾ وقال تعالى ﴿ كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى ﴾

ورزقك ليس ينقص بالتوانى وليس بزائد فيه العناء
ولا ترجُ السماحة من بخيل فما فى النار للظمآن ماء
تغطَّ بالسخاء فكل عيب يغطيه عن العين السخاء
وأرض الله واسعة ولكن إذا نزل القضا ضاق الفضاء
ومن نزلت بساحته المنايا فلا أرض تقيه ولا سماء

وقال :

رضيت بحكم الله أعدل حاكم علىّ ولى فى عدله والمكارم
ولم أر حكما مثل محمود عدله شبيهاً بأهنى فضله والمراحم
لما فيه من عدل وفضل وحكمة ومحمود غايات وحسن خواتم

وقال :

نصيبك فى حياتك من وصال نصيبك فى منامك من خيال (١)
فما ترجو بشىء ليس يبقى وشيكا ما تصرفه الليالى
وهذا لو صفا لك من كدور ومن خوف المآثم والضلال
فأما حيث لا يصفو فلولا التجارب عدّ ذاك من المحال (٢)
فعذ بالله من نفس لجوج ومن درك الشقاء بكل حال (٣)

---

(١) قال أبو الطيب : وإنما يقظات العين كالحلم . وروى عن سليمان عليه السلام عند ما أخبر عن ما مضى من أيام ملكه : نومة نمتها ثم استيقظت

(٢) يعنى أن كونك تتعلق بشىء هو كالمنام يذهب سريعاً ولا يصفو لك بحال ، لولا أنه قد جرب تعلق الناس به لعُدّ وقوعه محالا

(٣) فى الحديث « نعوذ بك من درك الشقا ، ومن شماتة الأعدا ، ومن سوء القضا » الدرك اللحاق ، والوصول إلى الشىء أدركته إدراكا ودركا . ولجوج بالجيمين ، واللجاجة الخصومة وهو لجوج

وقال :

واست أشك فى الرحمن يوماً ولا فيما قضى لى أو عَلَيَّا (١)
وكيف أشك فى البر الحميد المجيـــد وإنه حسبي وليـــا
إذا فكرت فى تدبيره لى وقلبى ضيق أضحى سَالِيًّا (٢)
وإن فكرت فى فقرى إليه غدَوت به على فقرى مليا (٣)
سميعـــاً حين أدعوه عليما مجيباً لست أخشى منه لَيَّــــا (٤)
رحيما واسعاً ملـكا رءوفاً كريماً واحـــداً براً حييا (٥)
إذا ناجيتـــه والليل داج أجاب ولم يباعـدنى نجيـا
ويسمع حين أدعوه خفيـاً ويرحم حين آتيه لجيـــا
ويسعى إن أتيت اليه مشيا ويستر حين يبصرنى مُسِيا
ويلطف بى ويعطف بعد بُعدى ويملأ من أياديه يدَيَّا
وكم من ليلة أمسى غفوراً يسـترنى وبت بهـا غويا
وأصبح فى أياديه معـافى عزيزاً ذا غنىً شبعاً وريا
يبشرنا بيسر بعـــد عسر وكان لـكل صالحة وفيـا
وذا كالاعتذار لـكل شر الينا حين كان بنا حفيـا (٦)

---

(١) أى لست أشك فى عدله لا فيه

(٢) من السلو ، قالوا : ويقال سلا سلوا . قال الشارح : فلا أدرى ما وجه إتيانه بالياء . وكأنه لأجل الشعر وذلك جائز والظاهر انها صفة وليست مصدراً فلا اشكال

(٣) الملىّ الغنىّ . والمراد أن الافتقار اليه غنى

(٤) اللىّ المطل

(٥) من الحياء والله سبحانه حيّ كريم ، يستحى من عبده إذا مدّ اليه يديه أن يردهما صفراً

(٦) قال الشارح : فيه انغلاق ، ولو قال فى عجز البيت : أتيناه وكان بنا حفيا لأنه اعتذار عما فرط فيه ، مع إدرار نعم الله عليه وأنه حفىّ به

فطعم الكره منه غير مُر إذا داوى به داء دويّا [١]
وكفَّر عن معاصينا كثيراً وقرَّب من منازلنا قصيا
ومن فضل المكاره أمْن مكر ال إله بها لمن أضحى عصيا [٢]
وبشراه بتكفير وعفو خصوصاً حين يشكرها رَضيا [٣]
فيصبح فى مكارهه حميداً سعيداً بعد أن آمسى شقيا [٤]
بتدبير الذى عن كل شين وعيب قد غدا نزهاً بريا
فليس مقدِّراً شراً لشرٍّ عليما قادراً ملكا غنيا [٥]
له الحسنى من الأسماء طراً وليس له بها أحد سَميا

وقال :

دع الكرب واذكر مالك الملك إنه مع الملك ذو الفضل العظيم فسل تعطى
وجمعهما يستلزم الجود والرَّجا فيغلب فى البرهان أفضاله القسطا [٦]
فكم أسبغ النعما وأجزلها وكم أغار فجلّى الخطب عنك وما أبطى

---

(١) الداء معروف ودَوياً وصف له بالشدة ، أى ما أتى منه من أمر مر فانه إنما يأتى به دواء للعبد ، فهو غير مكروه لما فى طيه من المحبوب ، فان الحدود أمور مكروهة لكنها لما كانت كفارات لأهلها كانت غير مكروهة

(٢) أى أنه يؤمن بنزول المكروه الأمين من مكر الله بارخائه النعم وصرفه النقم ، ولذا قال فى الحديث « ان الله يكره العفرية النفرية الذى لم يرزأ فى نفسه ولا ماله »

(٣) أى أنه يكفر ذنوب العبد بما يصاب به من المكاره كما فى الأمراض وغيرها

(٤) إذا خرج من ذنوبه بالمكاره التى أصابته

(٥) أى لا يقدر شراً لشر يترتب عليه بل يقدره لخير يؤول إليه

(٦) أى من جمع الملك والفضل وليس إلا الله فانه بجمعه يستلزم جوده ويستلزم رجاه ، فكيف لا يرجى من له الملك والفضل والقسط العدل والبرهان ويقضى بأن فضله يغلب عدله لسبق رحمته غضبه

وكم أظهر الحسنى وكم ستر التى تُعاب وكم حط الذنب التى خطَّا(١)
فلا تشتغل عنه بما هو واهب فمن يشتغل بالغير عنه فقد شطا(٢)
وفوض إليه الأمر وارض بحكمه تهنّا الغنى والفقر والقبض والبسطا(٣)

وله رحمه الله :

ما زال قلبى يحن وجدا لما تذكرتكم ونجدا
وهبّ من نحوكم نسيم أهدى عراراً لنا وندّا
وطيفكم زار بعد وهن يا حبذا الزائر المفدّى
أسيل خدٍّ رشيق قدٍّ عفيف بُرد يفوح ندّا
يا أهل نعمان ما قربنا من وصلكم زدتموه بعدا
فآذنونا نصل وإلا اهدوا فان الحديث يهدى
وما بكم من قلًى ولكن قد أخلق الدهر ما أجدّا
وشاب رأسى فزاد شيبى أحباب قلبى أسىً وصدّا
فيا ليالى الشباب عودى نرعى لعهد الشباب عهدا
ونجتنى فى الثغور خمراً وسلسلا بارداً وشهدا(٤)

---

(١) أى التى كتبها
(٢) بعد عن الصواب والطريق الواضح
(٣) أى إذا فوضت اليه الأمر تهنيت بكل كائن منه
(٤) قال الشارح رحمه الله بعد هذه الأبيات : وفى نسخة السادة بنى الوزير رحمهم الله من الديوان ما لفظه « تم ذلك بحمد الله ومنه . وكان الفراغ من زبره يوم الأربعاء سادس وعشرين فى شهر شعبان الكريم سنة سبع وثلاثين وثمانى مائة من الهجرة النبوية صلاة الله على صاحبها وسلامه »

وقيل هذا آخر الديوان : وتم بحمد الله ، شرحه الفقير محمد بن إسماعيل الأمير فى عشية الأحد لعله سلخ شهر ذى الحجة الحرام سنة ١١٧٩

الحمد لله

قال الشارح :

فى الديوان بعد هذا إلحاقات . وقد رأينا إلحاقها بالشرح وشرحها إن شاء الله حسبما ييسر الله

قال رحمه الله

وقد رأى فى المنام فى أول شعبان من سنة ٨٣٤ قائلا يقول هذا البيت :

عسى الله يضحى بالوصال مخصصاً　　لشملى أو يضحى الفراق معمما

فزاد عليه :

فان خص شملى بالوصال نفضله　　عميم ومهما شــاء كان متمما
وان لم فقد ساوى وعم بالنوى　　وسل مالــكا فيما مضى ومتمما (١)
ولى فى جميع الخلق أحسن أسوة　　ولا سيما فيمن أحب وكرّما
فما نظرت عيناى صفواً بلا قذى　　ولا سمعت أذناى شملا مسلما

وقال رحمه الله :

ذبيت عن المختار فى كل حالة　　وقدمتــــه فى يقظتى ومنامى
فحيناً بأقلامى وحيناً بمنطقى　　وحيناً بكتب كالحماة حوامى
فلو مكنت من نصره بعد ميتتى　　عظامى حمته فى القبور عظامى
فلم لا أرجى منه خير شفاعة　　إذا طال فى يوم المعــــاد قيامى
وإنى على بعد المزار موجه　　إليه صلاتى دائمــــاً وسلامى

وقال :

إلهى حقِّق ما وهبت من البشرى　　وكن فوق آمالى بدنياى والأخرى
رأيت امرءاً فى النوم ينشدنى وقد　　تعاظم همى ليلة الجمعة الغرّا

---

(١) يريد مالك بن نويرة الذى قتله خالد بن الوليد وأخاه متمما

إذا ضاقت الأحوال يوماً فإنما ... نُرَجِّى لها من بعد إعسارها يسرا
فذكّرنى فى سورة الشرح موعداً ... بيسرين إن عسراً أتى غلبا العسرا
هما معه نص الكتاب وبعده ... سيجعل يسراً ربنا صادق البشرى (١)
فأيقن بأن المرخص الغالى مرخص ... لما دونه لو كنت تستعمل الذكرا (٢)
ففى كل عرق ساكن منه نعمة ... وعافية لا تستطيع لهـا شكرا
وفى النَفَس الجارى وفى الماء مثلها ... وفى نعمة الإسلام أعظمها قدرا
فلو فات منها بعضها وخطبتها ... بذلت لها الدنيا وما فوقها مهرا (٣)
وما العسر إلا للّجاء وسيلة ... إذا ما غفلنا جدد الذل والذكرا (٤)
ليخضع قلب العبد لله وحده ... به ويذوق الذلّ لله والفقرا
ومن بعد ذا تأتى المعونة عاجلا ... ويأتى لك المقسوم من قمة الشمرا
ويأتى إلى الكنّاس ذى الضعف رزقه ... من الظالم الجبار يجبره جبرا (٥)
وكم فرس الليثُ الجرئُ فريسة ... ليشبع منها وهو لا يعلم اليسرى (٦)
ويا عجباً من أكله جيَف الفلا ... ويرعى الذباب الشهد فى الروضة الخضرا (٧)

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى ﴿ لينفق ذو سعة من سعته ، ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله . سيجعل الله بعد عسر يسراً ﴾

(٢) إشارة إلى قوله صلى الله عليه وآله وسلم « ما رفع شيئاً فى هذه الدار إلا وضعه »

(٣) أى لو فات من هذه الخمس واحدة ثم طلبتها لبذلت الدنيا وما عليها قيمة لها ، ولن تنالها إلا بأفضال الله

(٤) يريد أن العسر سبب لانكسار النفس وذكر الله تعالى واللجأ اليه ، فلا ينبغى كراهته فانه مبدأ كل خير

(٥) يريد أن أضعف الناس مثل الكناس قد يأتى رزقه من جبار يجبره الله على إعطائه

(٦) أى إن الأسد يفترس الفريسة لأجل شبعه فأصبح فى يسر وهو لا يعرف اليسرى

(٧) قال فى الشرح هو مأخوذ من قول الشاعر :

يا طالب الرزق الهنى بقوة ... هيهات أنت بباطل مشغوف
حوت الأسود بقوة جيف الفلا ... وحوى الذباب الشهد وهو ضعيف

بتدبير قيــوم الخلائق كلها ومن يرزق المولود فى ثديه الدّرا
وذلك لو فكرت أعظم قيمة من الدُّر لو لم تلقه أرخص الدُّرا
وما العمر إلا كالظلام إذا دجى بليل ترى من بعد إظلامه الفجرا (١)
وكاليبس من برد الشتاء وبعده ترى خضرة الأشجار والروض والزهرا
وكم جرت الأنهار من بعد يبسها وكم عادت الغبراء كالجنة الخضرا
بإذن الذى يحيى العظـام ببعثها كإحيائه للنبت إذ حُتّ واغبرّا (٢)
فكن واثقاً بالله جل جلاله وإن أضحت الآفاق من شدة جمرا
ولا تقنطن مهما دعوت ولم تُجَب سريعاً ولازم وارتج الواسع البرّا
فما أخر الإحسان إلا لحكمة ليعظُم قدر أو يجـدد له شكرا (٣)
ويبدل منه غيره إن يكن به فســاد خفى أو ينيل به أجرا
فلا بد من إحدى الثلاث بفضله وليس يرد الكف من فضله صفرا (٤)
وكم أنت من خلق الإله فانه لخلق عظيم يملأ البحر والــبرا
فلو نال كل ما تمنــاه منهم لكانوا كسبق عاطش ورد البحرا (٥)
ألم تر أنواع السباع وعظمها شباعاً ولا تدخَرْ ولا تحسنُ المكرا
فسبحان من لا يَنْسَى يوماً برزقها ولم ينس من رزق ذباباً ولا ذرّا

---

(١) أى عمر الإنسان كظلمة الليل يبلج بعدها ضوء الفجر ، كذلك الخروج من الدنيا بعد أنوار رحمة الله حتى يعيد العمر كأنه كان ليلا داجياً

(٢) القرآن مملوء بالاستدلال بإحياء الأرض بعد موتها على إحياء العباد بعد فنائهم فى آيات لا تنحصر

(٣) هكذا فى الأصل

(٤) إما أن يعجل له ما طلبه ، أو يدخر له ليوم القيامة ، أو يبدله خيراً مما سأل

(٥) إشارة إلى حديث قدسى « يا عبادى لو أنّ أولكم وآخركم وجنكم وإنسكم قاموا على صعيد فسألونى فأعطيت كل واحد مسئلته ما نقص ذلك من ملكى إلا كما ينقص المخيط من البحر »

فكم ذرة تحت الثرى مستقرة ... يبيت لها توفى به البرد والحرا
وكم رزق الطير الكبير بوكره ... وأفراخه فى الصغر لا تفرق الوكرا [1]
وكم دابة لا تطيق تحمل رزقها ... كما قال ربى لو تدبر من يقرا [2]
فلا ملكت أرضاً ولا زرعت بها ... ولا غرست غرساً ولا بذرت بذرا [3]
يعيش ومن يسعى حريصاً مكاثراً ... سواء ولما تعرف السوق والسعرا
كذا رزق الله المغفل عبرة ... ليعلم أن العقل لا يجلب الوفرا
فكم من ضعيف العقل كالبحر رزقه ... وكم من ذكى العقل لا يعرف التبرا
لكى يعلم الخلق الإله وأنه ... هو الواحد الحق الذى يملك الأمرا
تعالى فكم غطى العيوب بفضله ... وكم أظهر الحسنى وكم أوسع البرا
وصلى إلهى كل حين على الذى ... سعدنا به فى جاهه ليلة الإسرا [4]

---

(١) أى إنه يرزق الطير الذى عجز عن الطيران لكبره ، والصغير الذى لا يفارق وكره.

(٢) إشارة إلى قوله تعالى ﴿ وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم ﴾

(٣) قال الشارح : ولكن فرق بينها وبين بنى آدم ، فقد أمر الإنسان بالكسب ﴿ أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون ﴾

(٤) يشير إلى أن العباد سعدوا به صلى الله عليه وآله وسلم فى ليلة فرض الصلوات خمسين فتشفع ﷺ حتى صارت خمساً عدداً وخمسين أجراً . قال الشارح : واعلم أنه ربما يتوهم من هذه الأبيات أن الناظم يعطل الأسباب ويرى أن تركها أفضل ، وليس كذلك ، فقد تقدم له خلاف ما يتوهمه من نظر فى هذه الأبيات . ولا شك أن الأسباب من ضروريات الدنيا والآخرة ، فانه من أعرض عنها فقال مثلا : لا آكل ولا أشرب ، بل إذا أراد الله شبعى وريى خلقهما فى ذاتى ، وإن أراد دفع أضرار البرد والحر دفعه فلا آتى بسبب وقع أمر ، ولا أفعل الطاعات التى هى أسباب النجاة من النار ونحو هذا الهذيان الذى فطر الله الطباع البشرية على خلافه وورد الشرع بخلافه ، قال لمريم ﴿ وهزى إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً ﴾ وقال ﴿ خذوا حذركم وأسلحتكم ﴾ إلى آخر ما جاء فى الشرح

وقال الناظم :

هذه الأبيات عول عليه فى إجازتها حى السيد الفاضل الزاهد عماد الدين يحيى بن المهدى ابن قاسم بن المطهر الزيدى الحسنى رحمهم الله جميعاً

تأمل أخىَّ بعين الصفا ... ترى الداء مختفياً فى الدوا [1]
وتلق المنا والمنايا معاً ... رضيعى لُبان بغير امترا
ألم تر أنّ العنا فى الغنى ... وأن الردا من فروع البقا
وأن الصديق مثار الجفا ... وأن النوى من ثمار اللقا [2]
وأن مدار جميع الهموم ... على حبنا لحسان النسا
وأن لذيذ طعام الملو ... ك سقى الملوك شراب الدما [3]
فمهما رأيت رياض المنا ... فبين الرياض أفاعى البلا
فان الصواعق مخبوءة ... بغيث السما ومزون الحيا [4]
فكن رجلا رجله فى الثرى ... وهامة همته فى السما
فليس دروع توقى الخطو ... ب ترد سهام قسىّ القضا
ولا بد من تعب فليكن ... بخير الأمور وأعلى العلا

---

(١) قال الشاعر :

فان الداء أكثر ما تراه ... يكون من الطعام أو الشراب

(٢) النوى البعد عن الأحباب ، والبعد ثمرة للقائهم ، فاللقاء دواء مختفياً فيه الداء وهو النوى ، كما أن الصديق كالدواء مختفياً فيه الجفاء ، ومثلهما العنا والغنى والردى والبقاء

(٣) لذيذ طعامهم دواء اختفى فيه وأسقيهم الدماء وهو يحتمل معنيين : أنهم سقوا الأرض بدماء أعدائهم ليتم لهم لذيذ الطعام ، أو أنهم سقاهم دماء أنفسهم بقتال من ناوأهم

(٤) جمع مزن ولو قاله بغيث السماء ومد الممدود على الاصل وجعل المزن مفرداً لما احتاج إلى قصر الممدود

فاياك أن تقطع العمر فى طلاب الغنى أو طلاب الثنا (١)
أُخَىّ فذلك فانٍ وعن قريب تذوق شراب الفنا
فدنياك مثل سحاب المصيـــف ثم فدع عنك دار الشقا
أخى ولا تنس قرب الرحيـــل فذلك من عمل الأشقيا
وان محلك تحت الترا ب فخفض فديتك سمك البنا
وانك تجزى بما قدمت يداك فلا تنس يوم الجزا
وقرباك كن لهم واصلا وكن راعياً لحقوق الإخا
وكن صابراً فى الزمان الشـــديد وكن شاكراً فى زمان الرخا
وفوض إلى الله كلّ الأمور ومد اليه أكف الدعا
وشفع دعاك بصب الدمو ع وكتمانه فى سواد الدجى
وان ماج بحر الزمان الشـــديد فاركب سفين ذوى الالتجا
وجيش المواعظ كن قائداً له لتفض جيوش القسا (٢)
وعش ما حييت قرين التقى وقصِّر خُطاك بسُبْل الخطا (٣)
وقوِّ رِباط خيول التقى بجُنَّة مُرّ الطوى والظما (٤)

وقال رضى الله عنه فى رجب سنة ٨٣٧ :

توفيت إحدى وستين عاماً فحتى متى وإلى كم تمامى

---

(١) تحذير من إذهاب العمر فى طلب الغنى أو قطعه فى طلب ثناء العباد ، فانه ثناء لا ينفع بل يضر إن اغتر به صاحبه

(٢) الواردة لنقسية القلب فلا يفضها إلا جيش الوعظ منك أو تسمعه من غيرك

(٣) أى لا تمش فى طريق الخطأ

(٤) قوّ من التقوية . والرباط : الثغر الذى يلازمه المجاهدون . وجنة بضم الجيم : الترس . والطوى : الجوع . والظمأ . العطش

وفرطات أيامك السالفـــات نيفاً وعشرين ألفاً تماماً (١)
فخذ بوكيلك نعم الوكيل وسله لعمرك مسكا ختاما
وسله البدار البدار البدار فقد حُمّ انك تلقى الحِماما (٢)
وتنسى الديار وجيرانهـا وتسكن بعد الديار الرغاما (٣)
وتضحى العظام رميا وقد كسبت بهن الذنوب العظاما (٤)
فقل للمحبين والباغضـــين إن شاغلوك سلاماً سلاما (٥)
فهذا إلى وصله هائج وهذا مهاج يحب الخصاما (٦)
فمت قبل موتك حتى تميـــت داء القلا وتميت الغراما (٧)
وجازِ المسيئين خير الجزا ولا تكرهن الأذى والملاما
فتحيي سنــــة خير الأنا م وتشبه فيما فعلت الكراما
تفرغ بذاك لذكر الإله وصم فى النهار وأحي الظلاما

---

(١) هى عدة أيام إحدى وستين عاماً ، ومجموع أيامها أحد وعشرون ألف يوم وتسعمائة وستون يوماً

(٢) حم بالحاء المهملة أى قدّر ، ورد فى الحديث « أعمار هذه الأمة ما بين الستين والسبعين » . والحمام بكسر الحاء الموت

(٣) الرغام بفتح الراء فغين معجمة : التراب

(٤) ﴿ قل من يحي العظام وهى رميم ﴾ جمع رمة وهى العظم البالى

(٥) هذا سلام المتاركة من قوله تعالى ﴿ وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ﴾ ومن قوله ﴿ سلام عليكم لا نبتغى الجاهلين ﴾

(٦) يهيج المحب إلى الوصال ، والمبغض إلى هجاء من يبغض

(٧) أى اعتزل الناس حتى كأنك ميت ، فانه إذا مات العبد مات البغض والقلا من قلوب أعدائه

وارض السلام وخل الأنام   وخل الكلام وداو الكِلاما [1]
فانك إن ترضهم ما رضوا   ولا علموا من خشاك السلاما [2]
ولا صدقوك ولا كذبوا الكذوب عليك إذا نمّ ذاما [3]
وان ترض ربك يعلم بما   نويت ويكشف عنك الجهاما [4]
ولا يقبل الزور مهما فشا   عليك ويمنع من أن تضاما
ويسعى إذا جئته ماشياً   برحمته ويصح السقاما
وتلقاه حياً وبعد المما   ت وفى الحشر حين يعيد الرماما
وترجوه يعطى جميع المنا   ويعطى الجنان ويعطى الدواما
له الملك والحمد ملكا وحمداً   يبيدان أقلامنا والكلاما
هو الدافع النافع المستغا   ث يحمى الحما وينيل المراما
وما دونه من حجاب سوى اهـ   ـتما الأنام فخلّ الأناما [5]
وخل اهتمامك بالنازلا   ت ولا تضمرن لهنّ اهتماما
وجِدّ بتفويض قيومنا المـ   ـدبر سبحانه أن يُسامى

---

(١) السلام من أسماء الله ﴿ الملك القدوس السلام المؤمن ﴾ واترك الكلام فيما لا يرضى الله ، وداو الكلاما بكسر الكاف الجروح التى تقوم بها اللسان

(٢) كأنه يريد من خشيتك الله ، ورضاء الأنام غاية لا تدرك

(٣) أى ان الناس لا يصدقونك إن أردت ترضيهم ، ولا يكذبون الشخص المعروف بالكذب إذا كذب عليك ، بل يقبلون قوله وذمه لك

(٤) فى القاموس : الجهام السحاب لا ماء فيه . أو قد اهراق ماؤه . كأنه يريد يكشف عنك ما لا خير لك فيه مثل هذه السحاب التى لا ماء فيها

(٥) أى ان اهتمامك بحال العناد والاشتغال بهم حجاب عن الله سبحانه فخلّ الاهتمام بغير الله

أتطمع فى النكس أن تصفو ال   أمانى وما نلت هذا غلاما [1]
ولو نلت كل المنى وانقضى   لكان كأن لم يكن أو مناما
وعدت تَنَدَّم عند الوفا   ة وأنت ضنٍ لا تطيق الكلاما [2]
إذا جاءك الخل لم تستطع   لما أنت فيه ترد السلاما
يسائلك حتى تردَّ الجوا   ب فكان الجواب دموعاً سجاما
ومن بعد ذاك تزور القبو   ر فأوفاهم من يزور اللماما [3]

وقال رحمه الله :

أراك تخاف الأذى والعدا   وتخشى العذاب وتخشى الملاما
وتخشى من الفقر بعد الغنى   وتخشى الحمام وتخشى السقاما
فاعدد لها كلها واحداً   مليكا عزيزاً حميداً سلاما
يقول لما شاءه كن فكا   ن ويحيى الرفات وينشى الغماما
ويسعى إذا جئته ماشياً   وينصر إن جئته مستضاما
ويشفى إذا كنت ذا علة   ويعفو إذا ما ركبت الأثاما
ويكشف عنك جميع الكروب   كما يكشف الصبح عنك الظلاما
وما ثم شيء سوى ما قضى   فلا ترتج لسواه تماما
إليه تُرد جميع الأمو   ر فاعبد وفوض وخل الأناما

---

(١) ﴿ ومن نعمره ننكسه فى الخلق ﴾ وهو يقول إنه فى إحدى وستين عاماً وهى من سنى النكس فكيف تصفو فيه أمنية وما صفت وهو غلام ، مع أن سن الشباب أولى بصفو الأمانى

(٢) ضن بفتح الضاد المعجمة فنون منونة صفة مشبهة من الضنا وهو شدة المرض ، أى تندم عند الوفاة وقد صرت مضناً لا تستطيع الكلام

(٣) فى نسخة « تحل القبور » أى تنزلها وتسكنها ، فأوفى الاخلاء من يزورك إلى قبرك لماما

بذلك أوصاك فى ذكره لتجعلْ لعمرك هذا ختاما
ولن تستطيع بغير اللطيـــف فناد العليم السميع السلاما

وقال رضى الله عنه :

يا آمراً بالعفـــو والغفران والـكظم والمعروف والإحسان
متأكداً فى رحمة الفقراء والضعفـــاء والغرباء والضيفـان
أنت الأحق بكل ما وصيتنـا قطعاً من المعقول والفرقان (١)
ما فى الوجود أجلُّ منك ولا به أغنى ولا لك فى كمالك ثانى
وعبادك الضعفاء بين يديك فى فقر إليك وذلة وهوان
لا سيما من بعد أن شرفتهم بسوابق التوحيد والإيمان
وذخرت أجر النائبات لهم وضا عفت الأجور وزدت فى الإحسان
وجعلت واحدة من التسبيح والتحميـــد تملأ وحـدة الميزان (٢)
والله أكبر تملأ الآفاق ما بين السما والأرض فى الديوان
وكتبت رحمتك التى وسعتها كالعلم فيما قلت فى القرآن
هذى بشارات لنا من ربنا الحـــق المبين الأرحم الرحمن
والله يشهد أننا بهداية منه قبلناهـا بلا كفران
ولها تلقينا بتصديق وذا بالله إيمان على إيمان (٣)

(١) من المعقول أن من وصى بأمر وهو قادر عليه أن يأتى بذلك الذى وصى به ، لأنه أولى وأحق به ، قال تعالى ﴿ أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون ﴾ وختام الآية دليل على أنه أمر عقلى

(٢) أنه يشير إلى حديث « سبحان الله نصف الميزان ، والحمد لله تملأ الميزان ، ولا إله إلا الله تملأ مابين السماء والأرض » وفى حديث آخر « والتكبير يملأ ما بين السماء والأرض »

(٣) الإيمان الأول : الاقرار بالتوحيد والالهية ، والثانى : التصديق بالبشارات

وقال رحمه الله :

يا سُعْـــــــد من عامله ربُّه ... باسميه هذين الغفور الشكور (١)
يا ربنا قابل لنا كسبنا ... بخير معنى للشكور الغفور
شكر الذى قَلَّ وغفران ما ... جَلَّ على ما قال بحر البحور (٢)
سليل عباس الإمام الذى ... علّمه التأويل بدر البدور
واللغة المحضة تقضى بما ... قال وكم بشرى تجلى الكدور
زادت على الخمس المئين التى ... جمعتها تشفى غليل الصدور (٣)
وأحسن الأسماء تقضى بذا ... والمدح للصبر وعزم الأمور (٤)
لذا تَسمّى بالغفور الشكور ... الأكرم البَرّ الحليم الصبور
فادع بذى الأسماء واشكر ولا ... تأمن على الذنب عقاب الغيور (٥)
وكن ذليلا خائفاً راجياً ... عســـاك فى أبوابه لا تبور
ولذ به فى كل كرب فلو ... لا حبُّه الغوثَ لدام السرور (٦)

---

(١) عامله ربه أدخله الجنة كما حكى الله عن أهل الجنة ﴿ وقالوا : الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن ، إن ربنا لغفور شكور ﴾

(٢) ورد عن ابن عباس فى تفسير الآية ﴿ أذهب عنا الحزن ﴾ : يغفر الكبائر , ويجزى على الطاعات

(٣) إشارة إلى ما جمعه من آيات الرجاء وأحاديثه وقد زادت أحاديثه على خمسمائة ، سردها فى الجزء الرابع من العواصم

(٤) ﴿ فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ﴾

(٥) قال على بن أبى طالب رضى الله عنه لولده الحسن رضى الله عنه : يا ولدى خف الله خوفاً ترى أنك إن أتيته بحسنات جميع أهل الأرض لم يقبلها منك ، وارجه رجاء أنك إن أتيته بسيئات أهل الأرض غفرها لك

(٦) لدام السرور بالبشارات ، لكنه تعالى يحب الاستغاثة به ، ويحب أن يغيث من ستغاث به ، لذا لم يدم السرور

وقال رضى الله عنه :

وما القلب إلا طوع أكبر ما به   فلا يك فيه غير ربك أكبر (١)
ولست بمحتاج سوى صبر ساعة   وربك عون للذى يتصبر (٢)
ومن بعدها يحلو المرير ويبصر الضرير   ويعطى ما يحب ويجبر

وقال رضى الله عنه :

رأيت فى المنام وقد اشتد خوفى أبياتاً لى فى التوسل ، بردى على من أنكر رحمة الله ، وإفساد قولهم فى ذلك ، ولم أحفظها فى المنام ، فقلت فى اليقظة فى ذلك عوضها :

وإنى بحمد الله أبطلت قول من   نفى رحمة الرحمن أرحم راحم
بما لم يكن قبلى بياناً وحجة   بمختصر الإيثار بعد العواصم
وكم لى بها من حجة ومقالة   ونظم بديوان الثنا كالمراهم
وكم قد أرقت دمع عينى مرجماً   بها داعياً فى الليل أسمع عالم
فأرجو بهذا وهو من فضل سيدى   رضاه وغفران الذنوب العظائم

وقال رضى الله عنه :

ألا حبذا حب الذى الموت لقياه   وحب الذى دار البقا من عطاياه (٣)

---

(١) يريد أن القلب ينجذب إلى طاعة من هو أكبر عنده وفى اعتقاده ، فنهاه عن أن يكون فيه أكبر من ربه فيكون قلبه فى طوعه . قال الشارح : وفى نسخة (وما القلب إلا ملك أكبر ما به) والمعنى واحد

(٢) أى لا يحتاج إلى أن يكون أكبر الأشياء فى قلبك ربك إلا أن تصبر ساعة عن استعظام غيره ، والرب سبحانه عون الصابرين ، قال تعالى ﴿ واصبر وما صبرك إلا بالله ﴾

(٣) ثبت فى الأحاديث تسمية فراق الدنيا بالموت لقاء الله كما فى حديث « من أحب لقاء الله أحبّ الله لقاءه » ودار البقاء الجنة

وحب الذى تلقاه فى كل ساعة   وفى الليل تلقاه وفى القفر تلقاه (١)
وفى البحر تلقاه إذا هاج وارتمى   وفى القبر تلقاه وفى الحشر تلقاه
وحب الذى نرجوه يكشف كل ما   نخاف ويعطى كل ما نترجاه
وحب الذى يسعى إلى العبد إن مشى   بطيئاً فيا بشرى المشاة بمسعاه
وحب مليك كلما شاء قال كن   رحيم حميد كل من سال لبّاه (٢)
إذا ضعف الإنسان أو قل ماله   تجنّبه من كان يرجوه إلا هو
فبالضعف والإقلال يزداد رحمة   وقرباً وينجيه ويمحو خطاياه
ويدخله جناته قبل أهلها   بخمس مئين حين قدّم بلواه (٣)
ويجزيه إن يرض الرضا وبصبره   بغير حساب فى الكتاب يوفاه
فلا العجز يخشاه المرَجِّى لفضله   ولا قلة المعروف والفضل يخشاه
ينيل الذى يدعوه ما لا يضرّه   معيضاً له عما يضر بعقباه
ويصرف ما قد خاف إلا الذى له   به الحظ والنفع العظيم فيؤتاه
فباطنه فى الشر خير ونعمة   وظاهره بلوى ليجزى ببلواه
وحب الذى يمحو الذنوب جميعها   بتوب وباستغفاره وبرحماه
وحب الذى يخشى مع الحلم بأسه   فيعفو على من قد عصى حين يخشاه
وحب الذى يُعصى فيستر من عصى   ويرزقه بعد المعاصى ويرعاه
وإن طال فى العصيان إسراف مؤمن   أتاه بألطاف بها يتلاقاه

---

(١) ﴿ وهو معكم أينما كنتم ﴾

(٢) ﴿ إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ، وإذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداعى إذا دعانى ﴾

(٣) كلما ضعف العبد أو انكسر كان أقرب إلى الله ، لأنه بضعفه وفقره ينكسر قلبه . وفى الحديث الاسرائيلى « إن الله عند المنكسرة قلوبهم » وفى حديث أبى هريرة عند الترمذى مرفوعاً « يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام »

وإن عاقب العبد المسىء بفعله فمن حِكم لله يعلمها الله
وإن تاب لم يغلق عن التوب بابه ولكن يلبيه سريعاً ويرضاه
ألا حبذا حب الذى جمع الثنا وأفعاله حسنى جميعاً وأسماه
ومن عدله كالفضل فى الحمد والثنا وعقبه من بعد ذلك مثناه (١)
وصلى إلهى كل يوم وليلة على المصطفى والآل سكاّن أحشاه (٢)

قال الشارح وللمعرى :

(أزرت بكم يا أولى الألباب أربعة تركن ألبابكم نهب الجهالات)
(صاد الصديق ، وكاف الكيمياء ، وأحكام النجوم ، وتعبير المنامات)

فقال الناظم رحمه الله :

حب البقاء ، ونسيان الفناء وعمران الخراب ، وتدبير الإمارات
وحاصل الأمر نسيان الحقائق ، والـرب العظيم وتصحيح المحالات

وقال رحمه الله عند بلوغه ستين سنة :

أتلهو وقد ضيعت ستين حجة ولا ترعَوِى من بعدها وتُنيبُ (٣)
وإنَّ امرءاً قد سار ستين حجة إلى منهل من وِرده لقريب (٤)

---

(١) أى انه يحمده العباد على السراء وهو الفضل ، والضرّاء وهو العدل . وقوله « وعقبه » أى العدل

(٢) كأنه يشير إلى أن الأولاد ثمرة الفؤاد فهم سكانه

(٣) من « أناب » بالنون : يعنى رجع ، من قول الله ﴿ وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له ﴾ الآية

(٤) أراد بالمنهل الموت ، فان كل حيوان يرده . وأراد بورده وروده

هى العمر فازدد فى الزيادة إنما   هى النكسُ يذوى رطبه ويُذيب [١]
وينقض فيها العهد من كان وافياً   ومن ذا الذى يرعاك حين تشيب [٢]
ألم تكفك الستون للهوِ والهوى   وما بعدها للصالحات نصيب [٣]
أما راعك الأعذار حين وفى بها   وللموت منها فى قواك دبيب
فيا عجباً ما يرتجى بعد عدها   وكيف الهنا والطيبات تطيب
لذلك خُصَّ الزانى منها بأعظم الـــوعيد وملك فى الحديث كذوب
وآخر فى فقـــر بكبر وكلهم   عتوّا والدواعى للفساد عزوب [٤]
وفى كل جفن من جفونك للفنا   ذوائب تجرى والذوائب شيب
فأفٍّ لشيخ أشمط الرأس قارح   يخفّ إلى داعى الهوى ويجيب [٥]
أما لك فى رضوان ربك رغبة   ولا لك قلب فى تقاه صليب [٦]
ولا لك من قرب المنية موقظ   ولا للدموع الجامدات مذيب
ولا لك من هول القيامة زاجر   ولا لك من داء الذنوب طبيب
بلى إن أعان الجامع الملك والثنا   ومن يستعن بالله فهو مصيب

---

(١) يوافقه حديث « أعمار أمتى بين الستين والسبعين » . وقوله « هى النكس » إشارة إلى قوله تعالى ﴿ومن نعمره ننكسه فى الخلق﴾ ، وذوى الرطب إذا يبس وذهبت طراوته

(٢) وسبب ذلك أنه لا يبلغ المرء هذا السن إلا وقد فارق أترابه وأحبابه ، ونشأ قرن آخر لا يعرفونه ولا يوقرونه

(٣) « ما » موصولة ، أى والذى بعد الستين نصيب للصالحات ، وهى جملة استئنافية ولا يصح جعلها نافية

(٤) إشارة إلى حديث « ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم : شيخ زان ، وملك كذاب ، وفقير مختال » لأن الداعى لعمل هذه الأشياء بعيد

(٥) الفرس صار قارحاً أى شق نابه وطلع

(٦) صلابة القلب فى التقوى

بلى إن أراد الله فارتج توبة ... وأبشر فباب التوب منه رحيب
فداوم على باب الكريم البكاء والد ... عاء إليه فالكريم قريب
فإنك تدعو سامعاً غير غائب ... عليما فما غيب عليه يغيب
فأول ما تحظى به سمعه لما ... شكوت ومن بعد السماع يجيب
ويعلم صدق النادمين وجدّهم ... ويلطف حتى يصلحوا ويتوبوا
ويختار ما فيه الخيار لأنه ... وكيل لهم فى الاختيار حسيب
فهم فى رضى منه ومنهم لما قضى ... فحق لهم أن يطربوا ويطيبوا [1]
يحبونه فى ذكره ويحبهم ... وليس حبيب للحبيب يخيب
فهم فى جنان من رياض رضاهم ... ليُجْزَوا جناناً إن ذا لعجيب
وحسبهم فى مطالب المجد حبه ... وفى القرب أن تحوى هواه قلوب [2]
وفى حسن ظن جمعه الملاك والثنا ... وفى الخوف منه انه لرقيب
أما لك قلب يستطير بخوفه ... ولا لك فى حب الحبيب نصيب
ويا مولعاً جهلا وتيهاً بغيره ... خف الله لا يغنيك حين تجوب
ألم يعتبر أهل الحجى بعقاب مَن ... تقدم فى ذا انه لعجيب
فطائفة قد أشربوا حب عجلهم ... وقوم دهاهم فى الهلاك صليب [3]
فذاك بهيمى يخور مسخر ... وهذا جماد بالجمود معيب
وما فيهما شىء يُحَبُّ لحسنه ... ولا منهما مَن للدعاء مجيب
كذلك من لم يتق الله يبتلى ... بأمثال هذا والضلال ضروب

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى ﴿ رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشى ربه ﴾. وقوله « لما قضى » أى رضوا بما قضاه لحديث « وأسألك الرضا بعد القضا »

(٢) أى يكفيهم أن طلبوا المجد فى حبه إياهم أو حبهم إياه ، ويكفيهم فى قربهم منه أن تشتمل قلوبهم على هواه أى حبهم إياه

(٣) فى الأصل « وهاهم » بالواو وفى نسخة « دهاهم » بالدال

وجاء وعيد فاجع فى هوى الأولى يحبون ممن هو إليك قريب[1]
إذا ما غدوا من ربنا جل شأنه أحب إلينا إن ذا لمعيب[2]
وذا فى هوى من أوجب الله وصله فكيف غوان للقلوب تصيب[3]
هواهن يُهوى كل عال إلى الهوى ويعمى بصير القلب وهو لبيب[4]
وليس لنا إلا بإحسان ربنـا نجاة لأن الخاتمات غيـوب[5]
فلا ثقــة إلا به وبفضلـه وان جرحت فيه حشا وقلوب

وقال رحمه الله :

يا ضعيف العزم فى التوب وفى ضده أقوى من الليث الغشوم
إن رجحان القراريط على ثقل الشم محـال فى العـلوم
فاصدق العزم وتب فى قوة فعسى ترجح يوماً أو تقوم[6]

---

(١) لعله « إليه » أى الله تعالى . وهى إشارة إلى من اتخذ الملائكة وعيسى عليهم السلام آلهة

(٢) يريد إذا أحب العباد معبوداً لهم غير الله فهذا عيب علينا حيث نؤثر بالحب غير ربنا

(٣) مراده إذا كان الوعيد الفاجع فيمن أحب عيسى والملائكة عليهم السلام واتخذهم آلهة وهم ممن أوجب الله علينا حبهم وصلتهم ، فكيف يكون وعيد من أحب الغوانى ، جمع غانية وهى المرأة الحسناء

(٤) هوى يهوى سقط ، من أهواه أسقطه ، وهوى هُوِياً بالفتح والضم سقط عن علو إلى سفل . قال فى القاموس : والهوى بالفتح للاصعاد والهوى بالضم للانحدار ، فقوله « هواهن يهوى » أى يسقط كل عال « إلى الهوى » بضم الهاء ، إلى أسفل

(٥) فى نسخة . لأن السابقات عيوب

(٦) الغشوم : الظلوم ، وقوله « عسى ترجح » أى ترجح التوبة على شم جبال الذنوب أو تقاربها فيتساويان ، وعسى إن تساويا تساقطا

وقال رحمه الله فى الرجاء وحسن الظن بالله :

عُذلي عابوا رجائى عذلى حاروا وتاهوا
كيف لا أرجو الذى لا يغفر الذنب سواه
جاء فى القرآن منصوصاً وكل قد رواه (١)
وهو أعلى رتبة المد ح لعفو هو ما هو
قصر العفو عليه فانظروا ذا للدح ما هو (٢)
هو حق أو محال أو صحيح أو سواه
لا ومن لا يغفر الذنب وان جل سواه
إنه للحق صدقاً وصدوق من رواه
وسعيد من تلقاه بصدق ورجاه
وظلوم من يسميه مُنًى خاب مناه
الأمانى رده الحق اجتهاداً بهواه
إذ يرى أهدى من القرآن نهجاً ما رآه
ويرى الباطل فى مفهومه مهما تلاه
غير أن الله للعبد بخوف ابتلاه
يحمد الله على الخوف فمولانا قضاه
ما قضى الخوف علينا غير نحظى برضاه
من رجا خاف من الله ومن خاف رجاه
ولذا اختص أولو العلم ومن قد اصطفاه
بمزيد الخوف لله مع وعد رضاه

---

(١) يريد ذكر العفو والغفران ، ويمدح الله بهما فى عدة آيات فى القرآن

(٢) يشير إلى قوله تعالى ﴿ ومن يغفر الذنوب إلا الله ﴾

لو رجا الكافر أو خا ف وقاه وكفاه (١)
ذا رجائى فيه وال إرجاء زور لا أراه
فاعرف الإرجاء تعلم أن رجواه سواه (٢)

وقال رضى الله عنه :

إليك جميع الأمر يرجع كله ومنك الأمانى ترتجى والبشائر (٣)
وبعض أياديك العوالم والذى بها والبحار والثقال المواطر (٤)
ومنك العطا والمنع والأمر كله إليك وما فى الكون غيرك قادر (٥)
فمن شاء فليمنع سواك فلا أذًى إذا يبس الضحضاح فالبحر زاخر (٦)
وعفوك يا رب الخلائق واسع تضيع الخطايا عنده والكبائر

---

(١) فانه لو رجا لآمن ، فانه لا يرجوه إلا من يؤمن به ، ولا يخافه إلا ذلك

(٢) حددوا الرجاء بحدود : الأول ترقب الانتفاع بما سبق له من سبب ما ، وقيل تعلق القلب بحصول محبوب مستقبلا ، وقيل ظن يقتضى حصول ما فيه مسرة ، وقيل هو سرور الفؤاد بحسن الميعاد ، وقيل طمع الإنعام مع ترقب الانتقام ، وأما الإرجاء فانه التأخير : قال أهل الإرجاء : إن الله أخر عذاب المؤمنين فلا عذاب عليهم

(٣) قال الله سبحانه ﴿ قل إن الأمر كله لله ﴾ وقال ﴿ ألا له الخلق والأمر ﴾ وقال تعالى ﴿ أم للإنسان ما تمنى ، فلله الآخرة والأولى ﴾

(٤) الثقال : السحاب ، وقال تعالى ﴿ وينشىء السحاب الثقال ﴾

(٥) هو من قوله عليه الصلاة والسلام « اللهم لا مانع لما أعطيت ولامعطى لما منعت » وقوله « وما فى الكون غيرك قادر » لأن كل قادر من العباد فالله أعطاه القدرة ، فما فى الكون قادر بذاته سواه

(٦) إن منع غيرك لا يؤذينى فان منعه منع ضحضاح ، وهو بضادين معجمتين وحاءين مهملتين وهو الماء القليل ، فاذا يبس الماء القليل فالبحر ـ وهو عطاء الله وجوده ـ زاخر كثير لا نهاية له

فلو يعلم الخلق الذى أنت أهله ... من العفو لم يقنط من العفو فاجر [١]
ورحمتك العظمى كتبت بسبقها ... كتاباً كريماً فهو عندك حاضر
وأنت تحب الحمد والمدح والثنا ... ووصف محب الحمد والمدح ظاهر
فوعدك أولى من وعيدك بالوفا ... لذاك وحظ الفضل للعدل قاهر
وقد جاءت البشرى وصحت بأننا ... لنـا ظننا فالظن أنك غافر
ولى حين يشتد الوعيد ذخيرة ... سريرة حب يوم تبلى السرائر
تجلى همومى فى فؤادى قرارها ... وأرجو بقاها يوم تفنى الذخائر
وديعتـكم أن تحفظوها فانهـا ... صنيعتـكم والجود بالحفظ آمر

وقال رضى الله عنه مذيلا :

(من عاش أخلقَت الأيام جِدَّته ... وخانه ثقتـاه السمع والبصر) [٢]

فزاد عليه :

ومات أحبابه والأقربون ومن ... بهم على الناس والحاجات ينتصر
ومسه الضر فى نفس وفى ولد ... ولم يزل لهجوم الموت ينتظر
لكنه يتسلى بالثواب على ... جميع ذاك ففيه الأجر مدخر
من أجل ذا كان طول العمر معتمداً ... فى الفضل بالنص فيه جاءنا الخبر [٣]

---

(١) لو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة لما أيس من الجنة ، ولو يعلم المؤمن ما عند الله من العذاب لما أيس من النار

(٢) هذا البيت لابن عمر ، وقد ذيله بالأبيات بعده

(٣) أخرج سعيد بن منصور والخطيب من حديث أنس مرفوعاً « إذا بلغ العبد أربعين سنة أمّنه الله من البلايا الثلاث : الجنون والجذام والبرص . فاذا بلغ خمسين خفف الله عنه الحساب . فاذا بلغ ستين سنة رزقه الله الإنابة إليه لما يحب . فاذا بلغ سبعين سنة أحبه اهل السماء . فاذا بلغ ثمانين سنة أثبت الله حسناته ومحا سيئاته . فاذا بلغ تسعين =

وقال رضى الله عنه :

رأيت بعد شوال بشرى ورقة فيها :

سلوا أم عمرو كيف راح قتيلها

فزدت عليه :

سلوا أم عمرو كيف راح قتيلها — تلافاه من يحيي العظام البواليا
كفاه وآواه وأرخص عزهـا — وعادته إرخاص ما كان غاليا (١)
فحمداً له حمد الشكور لفضله — وما زال غوثاً للمساكين كاليا

وقال رضى الله عنه :

قال ابن العربى فى شرح الترمذى فى طلاق الثلاث ما معناه فى حكاية طويلة ظريفة : طلق الحسن بن على عليه السلام زوجته جميلة ثلاثاً ، وأرسل إليها بقية مهرها وعشرة آلاف نفقة متعة . فأنشدت :

متاع قليل من حبيب مفـــــارق

فبلغه فبكى وقال : لولا أنها قد بانت لاسترجعتها ، أو نحو ذلك . فقال الناظم فى ذلك المعنى :

وفى خبر ابن المصطفى وجميلة — بلاغ وإعذار إلى كل وامق
جفاها وأغناها فقالت حزينة — متاع قليل من حبيب مفارق
فرق لها حتى استهلت دموعه — أسى وتمنى أنه لم يفـارق
فلا تتعجل فى معــاد وفُرقة — وحسبك محتوف الحتوم الطوارق

═ سنة غفر الله ما تقدم من ذنبه وما تأخر وشفـّع فى أهل بيته وناداه مناد من السماء : هذا أسير الله فى الأرض تكتب له الحسنات وتمحى عنه السيئات »

(١) لحديث « انه حق على الله أن لا يرفع شيئاً فى هذه الدار إلا وضعه »

فهرس

صفحة

٣ مقدمة النشر
٤ ترجمة صاحب الديوان
٥ ترجمة الشارح
٦ من فاته منك وقت حظه الندم
٧ أرجيك إذ كنت أهل الرجا
٩ قد قلت إذ عذلونى فى الرجاء لكم
١٠ فى وعد ربى عذاباً للأولى يئسوا
١٠ إلى الملك القيوم وجهت آمالى
١٢ يا راجياً للواحد المفضال
١٣ يا خائن العين لا تكفر بنعمة من
١٤ فثق بالذى لم يجمع الملك والثنا
١٥ إليك وجهت يا مولاى آمالى
معارضة وجواب قول أبى نواس:
١٦ قالت لى النفس أتاك الردى
١٧ يوم السعادة والبشارة والهنا
١٩ الحمد لله القريب المجيب
٢٠ يا من تفرق عزمه وهمومه
٢٢ فيم الهموم وكل خط بالقلم
٢٤ من أين لى صاحب يبكى معى أبداً
٢٤ ففرج كروبى اننى بك واثق
٢٥ لك الحمد يا مولاى يا برّ إذ ترضى
٢٥ لا تحجبنى بالأسباب عنك فما
٢٨ ألا مبلغ أهلى وصحبى إننى
٢٩ إلهى ان عفوت يكن يسيراً
٣٠ ليت شعرى وليتنى كنت أدرى

صفحة

٣٢ ما للمحب سوى الحبيب حوائج
٣٢ يا نفس إنك ما خلقت لكل ما
٣٢ فقرى اليك غنى به أستبشر
٣٣ يا من وهبت لى الهدى والعافية
٣٣ يا أبر الخلق للناس معاً
٣٥ خليلى إنى للإله لشاكر
٣٦ ان كنت تبغى وصالا لا فراق له
٣٧ كل يزور حبيباً فهو يكرمه
٣٧ أغاظك فوت أخسّ الأمور
٣٨ ميل القلوب إلى سواك حرام
٣٩ ما أحسن الدين والدنيا إذا اجتمعا
٣٩ اذا خاف الخليل وخاف موسى
٤٠ سيغفر للعبد المسىء المقصر
٤١ لو تمنيت ما تمنيت إلا
٤١ بشرتنى يا رجائى بعد خوفى أن
٤٢ أقول إذا ما ثبّت الله منطق
٤٣ أنت المؤمل دون كل مؤمّل
٤٦ لا تطلبن من غير ربك حاجة
٤٨ دع الأمر ان اخطأت فيه ففاحش
٤٩ جاورتنى الحمام وهى تنوح
٥٠ بيد الإله الفضل لا بيديك فى الذكر
٥٠ أخس العبيد عبيد الهوى
٥١ حياتنا إن ذكرناكم ولو نفساً
٥٢ دع عنك تذكار الغضا والحمى
٥٣ دع الرحمن يفعل ما يشاء

صفحة

٥٤ رضيت بحكم الله أعدل حاكم
٥٤ نصيبك فى حياتك من وصال
٥٥ ولست أشك فى الرحمن يوما
٥٦ دع الكرب واذكر مالك الملك إنه
٥٧ ما زال قلبى يحنّ وجداً
٥٨ فان خص شملى بالوصال ففضله
٥٨ ذببت عن المختار فى كل حالة
٥٨ إلهى حقق ما وهبت من البشرى
٦٢ تأمل أخىّ بعين الصفا
٦٣ توفيت إحدى وستين عاماً
٦٦ أراك تخاف الأذى والعدا
٦٧ يا آمراً بالعفو والغفران

صفحة

٦٨ يا سعد من عامله ربه
٦٩ وما القلب إلا طوع أكبر ما به
٦٩ وإنى بحمد الله أبطلت قول من
٦٩ ألا حبذا حب الذى الموت لقياه
٧١ حب البقاء ونسيان الفناء
٧١ أتلهو وقد ضيعت ستين حجة
٧٤ يا ضعيف العزم فى التوب وفى
٧٥ عذلى عابوا رجائى
٧٦ إليك جميع الأمر يرجع كله
٧٧ من عاش أخلقت الأيام جدته
٧٨ سلوا أم عمرو كيف راح قتيلها
٧٨ وفى خبر ابن المصطفى وجميلة